

عذالة الستار

نباتات كورنيسيتي

المشاعر من الحداثة الجديدة للخبير



0196085

Bibliotheca Alexandrina

المطبعة العالمية للطباعة

عَدَالَةُ السَّاءِ اجامتا كريسيتي

ترجمة
د. فَيَارُوقْ خَوَاتَمِي

منشورات

المكتبة الحديثة - بيروت
دار الشروق العربي - بيروت

أجاثاكريستي

بقلم أجاثاكريستي

ولدت في مقاطعة ديرفونشير بإنجلترا ، وقضيت طفولة سعيدة الى أقصى درجات السعادة ، تكاد تكون خلوا تماما من أعباء الدروس والاستذكار ، فانفسح لي الوقت كي أتجول في حديقة بيتنا الواسعة واسبح مع الخيال ما شاء لي الهوى

والى والدتي يرجع الفضل في اتجاهي الى الكتابة والتأليف ، فقد كانت سيئة ذات فتنة ، ساحرة الشخصية ، قوية التأثير ، وكانت تعتقد اعتقادا واسعا ان أطفالها قادرون على كل شيء . ففى ذات يوم - وقد أصبحت ببرد شديد الزمنى الفراش - قالت لي :

- خير لك ان تقضى الوقت بكتابة قصة قصيرة وانت في فراشك
- ولكنى لا أعرف . . .

- لا تقولى لا أعرف ، فانك « طبعا » تعرفين . . . حاولى فقط وسترين
وحاولت ، ووجدت متعة فى المحاولة ، فقضيت السنوات القليلة التالية
أكتب قصصا قابضة للصدر ، يموت معظم أبطالها ، كما كتبت مقطوعات
من الشعر ورواية طويلة احتشد فيها عدد هائل من الشخصيات بحيث
كانوا يختلطون ، يفتقون لشدة الزحام ثم خطر لي ان أكتب رواية بوليسية ،
فعلت واشتد بى الطرب حينما قبلت الرواية ونشرت . . . وكنت حين
كتبتها متطوعة فى مستشفى تابع للصليب الاحمر ابان الحرب العالمية الاولى
واذا سألتمونى عن ميولى ، فأعلموا انى احب الاكل وأكره طعم كل
مشروب يدخل فى صناعته الكحول ، واننى حاولت التدخين مرارا فلم أجد
ما يفرنى بالدأومة عليه . ولكنى أعبد الازهار ، واهيم بالبحر وأحب
المرح ، وأكره الافلام النساطقة ، ويعجز تفكيرى عن متابعتها ، وأكره
الاذاعة وكل ما يحدث ضجة وضوضاء ، وأكره حياة المدن
وهوايتى السفر ، ولا سيما فى بلدان الشرق الأدنى لاننى احب
المصغراء حبا جما

اهم شخصيات الرواية

هيركيول بوارو «Hercule Poirot» - المخبر السرى الخاص

آمياس كريل «Amyas Crale» - الفنان المتقلب

كارولين كريل «Caroline Crale» - زوجة الرسام المتهمه بالقتل

كارلا لامرسانت «Carla Lemarchant» - ابنة كارولين والرسام كريل

جون رايتري «John Rattery» - خطيب كارلا لامرسانت

فيليب بليك «Philip Blake» - سمسار بالبورصة والصديق الوفى
للرسام كريل

ميرديث بليك «Meredith Blake» - من الاميان والشقيق الاكبر لفيليب
بليك

الزا جرير «Elsa Greer» - غانية لموب واسعة الثراء

انجيلا وارن «Angela Warren» - الأخت غير الشقيقة لكارولين كريل

سيسيليا ويليامز «Cecilia Williams» - المربية الخاصة لانجيلا وارن

مفتش البوليس هيل «Superintendent Hale»

الفصل الأول

الحسناء كارلا

نظر هيركيول بوارو في شيء من الفضول والاعجاب الى الفسادة
الحسنة التي راحت تقترب من مكتبه

لم يكن في الرسالة القصيرة التي بعثت بها اليه شيء واضح ،
مجرد رجاء بان يحدد لها موعدا للمقابلة ، ولا شيء غير هذا الا
التوقيع باسمها : كارلا لامرسانت

وها هي ذى ثأتى اليه بنفسها في الموعد المحدد : طويلة، رشيقة،
في أوج الشباب ، في نحو الثانية والعشرين ، جميلة ، أنيقة ، تنم
ثيابها عن موفور ثرائها ، ويتبىء تالق عينيها الجميلتين عن فيض
الصبا والحيوية والتضارة

لقد كان هيركيول بوارو - قبل دخولها - يشمر بدبيب الشيوخوخة
اما الآن ، وهي تقبل نحوه ، فانه ينتفض بقوة الحياة
وفيما هو يتقدم نحوها مصافحا ، كان يشمر بعينيها الرماديتين
تعمنان النظر الى وجهه ، وكأنما تريد الفتاة أن تنفذ الى أعماق
أعماقه

وجلست الى المكتب ، وتقبلت لفافة التبغ التي قدمها اليها ،
وبعد اشغالها ، راحت تدخن في هدوء دقيقة أو اثنتين ، وهي
لا تزال تمن النظر اليه في اهتمام وتفكير

وقال بوارو في رفق :

... نعم ، ينبغي أولا أن تتأكدى

فقلت في صوت المفاجأ :

- أوه ، أرجو العذرة ، ماذا ؟

- انك تتساءلين في نفسك : هل أنا حقاً الرجل البارع في كشف
 غوامض الجرائم ، أم مجرد طبل أجوف ؟
 وابتسمت وقاطعتة قائلة بصوتها الموسيقي الرقيق :
 - نعم ، نعم هذا صحيح ، فالواقع انك يا مسيو بوارو لا تبدو
 في الصورة التي كنت أتخيلها عنك !
 - وعجوز أيضاً ؟ اليس كذلك ؟ اكبر سن مما كنت تتوقعين !
 - نعم انني ، كما ترى ، صريحة . والواقع اني أريد أن أعهد
 بمهمتي الى خير من يصلح للقيام بها
 - اطمئني من هذه الناحية ، فاني الرجل المنشود
 - يبدو أنك لا تعترف بشيء اسمه التواضع يا مسيو بوارو !
 - انني اعترف بالحقائق فقط
 - حسناً ، لسوف أعتمد عليك رغم المظاهر !
 فقال بوارو بهدوء :
 - ان الانسان لا يحتاج دائماً الى استعمال عضلاته في الابحاث
 الجنائية ، بل انني أحياناً لا ألبأ الى الانحناء على الارض ، وشم
 التراب ، وقياس الآثار ، واختبار ميل العشب لا تعرف على اتجاه
 السير ، وانما يكفي في كثير من الاحيان أن اجلس ، وأفكر
 ثم نقر على رأسه الصلعاء المستديرة كالكرة ، واردف قائلاً :
 - هذه هي التي تقوم بكل ما ينبغي القيام به
 - انني أعرف ، وهذا ما حفزني للحضور اليك ، فاني أريد أن
 تقوم لي بمهمة عجيبة
 - لقد أثرت فضولي
 - ان اسمي ليس « كارلا » وانما كارولين ، على اسم أمي ...
 لقد سممتني باسمها ، وأما « لامرشانت » فهو ليس اسم أبي ، ان
 أبي هو أمياس كرييل
 فقطب بوارو جبينه مفكراً : ثم قال :
 - أمياس كرييل .. أمياس كرييل ، يخيل الي اني أعرف هذا
 الاسم
 - انه رسام معروف ، ويؤكد بعض المعجبين به أنه من اكبر

الرسامين الفنانين ، وأنا أعتقد هذا أيضا
— نعم ، نعم أمياس كريل ، ولكنني أحاول أن أتذكره بمناسبة
أخرى

— لقد مات قتيلا ، واتهمت أمي كارولين بقتله !
— آه تماما ، اني أتذكر الآن ، لقد كنت يومذاك في الخارج ،
وأعتقد أن هذا قد حدث منذ سنوات طوال
— ستة عشر عاما !

وأردفت الفتاة قائلة ، بوجه شاحب ، وعينين زاد بريقهما :
— هل تفهم ؟ لقد حوكت أمي ، وصدر الحكم بإدانتها ، ولكنها
لم تشنق بسبب وجود ظروف مخففة أحاطت بالحادث ، وهكذا عدل
الحكم الى السجن المؤبد ، ولكنها ماتت بعد المحاكمة بعام ، ومن
ثم ترى أن كل شيء قد انتهى و ...
— ولكن !؟

وضغطت كارلا يديها بعنقا ببعض ، ثم قالت بصوت متهدج ،
ولكنه مغمم بالعزم :

— أرجو أن تدرك تماما موفقي من هذا الامر كله ، كنت عند
وقوع الحادث ، في الخامسة من عمري ، أي كنت أصغر من أن أدرك
تماما ما يجري حولي ، انني أتذكر أبي وأمي ، طبعا ، وأتذكر اني
غادرت البيت فجأة الى الريف ، وأتذكر خراف المزرعة السمان ،
وزوجة المزارع ، وأن الجميس كانوا جد شقيقتي بي ، وأتذكر
بوضوح الطريقة العجيبة التي كانوا ينظرون بها الى . وكنت أعرف ،
كطفلة ، أن شيئا ما قد حدث ، ولكني لم أكن أعرف طبيعة هذا
الشيء

ثم أردفت قائلة بعد برهة صمت وجيزة :
— ثم أتذكر اني ركبت باخرة في البحر ، وكانت الرحلة مثيرة ،
استغرقت بضعة أيام ، وعندما وصلت الى كندا ، استقبلني العم
سيمون ، وعشت معه ، ومع زوجته العمة لويز ، وكنت كلما
سألتها عن أبي وأمي ، قالا أنهما سيلحقان بي سريعا . وعلى مر
الايام نسيت أمرهما ، بعد أن عرفت ، دون أن يخبرني أحد ، أنهما
ماتا . وعشت سعيدة في كندا ، فقد كان العم سيمون والعمة لويز

النموذج الطبية والشفقة والحب . وذهبت الى المدرسة ، وتعرفت
بصديقات كثيرات ، ونسيت ، تقريبا ، كل شيء عن حياتي السابقة ،
وأنا دون الخامسة ، وحتى اسمي ، أصبح كارلا لامرشانت بدلا من
كارولين كريل

ثم نظرت كارلا في وجه بوارو بامعان برهة ، واستطردت
تقول :

- إنظروا الى وجهي . انك ، حين تراني في الطريق ، أو وأنا
أستقل سيارتي الخاصة الفاخرة ، ستشير الى وتقول : « هذه فتاة
جتمعت بين الجمال والمال والشباب ، وليس لها في هذه الدنيا ما
يثقل عليها أو يحز في نفسها » وهذا هو الواقع الى حشد ما ،
فأنا شابة ، جميلة ، وثرية ، وليس في الدنيا فتاة أتمنى أن أكون
مثلها ، ولكنني ، مع هذا كله ، بدأت أسأل عن أبي وأمي : من هما ؟
وماذا فصلا ؟ وكيف ماتا ؟ ولم يكن ثمة مفر من أن أعرف في
النهاية كل شيء

ومرة أخرى صمتت كارلا برهة ، قبل أن تستأنف حديثها قائلة:
- ولم يسع العم سيمون والعمة لويز إلا أن يخبراني بالحقيقة ،
كل الحقيقة ، لأنني حين بلغت الحادية والعشرين من عمري ، أصبحت
حرة التصرف في الثروة الطائلة التي تركها أبواي لي ، ولأنه أصبح
من حقى ، وأنا في هذه السن ، أن أقرأ الخطاب الذي تركته لي أمي
وهي على فراش الموت . ومن هذا الخطاب ، علمت الحقيقة الرهيبة :
علمت أنها اتهمت بقتل أبي ، وقدمت للمحاكمة ، وصدر عليها الحكم
بالسجن المؤبد ، ويا لها من مفاجأة قاسية

وتوقفت برهة أخرى ، ثم عادت تقول :

- وهناك شيء آخر ينبغي أن أصارحك به ، فأنا أبادل الحب مع
شاب أعتبره مثل الأعلى في الحياة ، ورغم أن الجميع لا يعترضون على
زواجنا ، فقد طلبوا مني إرجاء الزواج حتى أبلغ الحادية والعشرين
من عمري ، وقد عرفت الآن لماذا !

فقال بوارو وقد أدرك حقيقة الموقف :

- وهل عرف خطيبك الحقيقة ؟

- نعم ، طبعاً ، أخبرته بها كلها

— وما رايه ؟ ماذا كان رد الفعل فى نفسه ؟
— قال : « ان الحب الحقيقى الذى يجمع بيننا لا يحفل بأحداث
الماضى ، وانما المهم هو المستقبل »

ثم مالت الى الامام و اردفت تقول :
— اننا لازلنا مخطوبين ، ولكننى افكر ، بل انوى ، ان افسخ
الخطبة ، اذا لم اتأكد من براءة أمى نعم ، لا تعجب يا مسيو
بوارو ، لسوف أخبرك لماذا أوقن ببراءة أمى ، والمهم الآن ان أؤكد
لك انى لا أستطيع ان أتزوج ، وأنجب أطفالا ، وأعيش طول عمرى
فى خزع ، حتى لا يعرف أطفالى حقيقة مأساة جديهما لأمهما . اننى
لا أستطيع ان أحتمل ان يشار اليهم على أنهم أحفاد السيدة التى
قتلت زوجها

فقال بوارو :
— الا تعرفين أنه لا يوجد الانسان الذى يستطيع ان يزعم أنه
ينحدر من أصلاب أجداد لم يرتكبوا فى حياتهم ما هو أسوأ من
جرائم القتل ؟

— انك لا تدرك ما يدور بنفسى ، حقا انه لا يوجد مثل هذا
الانسان ، ولكن معظم الناس لا يعرفون هذه الحقائق عن يقين واثبات
كما أعرفها أنا عن أبوى ، وكما سيعرفها أولادى عن جديهما .
وليس أدل على خطورة السيف المعلق على رأسى ، من أنى رأيت جون ،
خطيبى ، يختلس النظر الى ، بعد أن عرف هذه الحقيقة ، فى شيء من
الحيرة والتوجس ، فكيف اذا تزوجنا ، ثم حدث بيننا هذا الحسام
الذى يحدث عادة بين الأزواج ، ثم أرسل الى هذه النظرة الزاخرة
بالحيرة والتوجس . أقول كيف يكون موقفى اذا رأيته ينظر الى ،
وكانما يخشى أن أقتله كما قتلت أمى أبى ؟

— كيف قتل أبوك ؟

— بالسم

— آه ، انك على حق

— شكرا لله انك أدركت حقيقة مشاعرى . لقد أدركت أن هذا
الأمر يهمنى ، ويؤثر فى مستقبلى ، ومن ثم لا تحاول أن تواسينى
بعبارات جوفاء ، أو أن تقنعنى بأن هذه مسألة عفى عليها الزمن

- اننى فى الواقع مبرك تماما خرج مركزك يا ميسى لامرشاتى
ولكننى لا أعرف على وجه التحديد ماذا تريد منى
- أريد أن أتزوج جون ، وأنى أن أتزوجه ، وأن أنجب منسى
على الأقل ولدين وبنيتين، والمطلوب منك أن تجعل هذا كله ممكنا...
فايتسم بوارو وقال :

- اننى تحت أمرك ، ولكن كيف السبيل ؟
- اسمع يا ميسىو بوارو ، اننى أريد أن أكلفك بإعادة البحث
والتحرى لكشف الحقيقة عن سر مقتل أبى ، ولسوف أدفع لك كل
ما تريد من مال
- ولكن ...

- اننى أعرف أن جريمة القتل ، هى جريمة القتل ، سواء وقعت
اليوم ، أو منذ عشرين عاما

- ولكن يا آنستى العزيزة ، أريد أن ...
- أوه ، انتظسى برهة يا ميسىو بوارو ، فإن فى المسألة نقطة
هامة ، ينبغى أن تعرفها
- وما هى ؟

- هى أن أمى بريئة
- لا عجب أن تؤمن الابنة ببراءة أمها ، برغم كل ...
- لا لا ، ليس للعاطفة دخل فى هذا الشعور ببراءة أمى يا ميسىو
بوارو ، وانما هو خطابها هذا ، لقد تركته فى قبل وفاتها ، واستلته
حين بلغت الحادية والعشرين من عمرى ، وهى لم تكتبه الا لفرص
واحد وهو اقناعى تماما ببراءتها * ولقد أقسمت فى فيه ، وهى
على فراش الموت ، أنها بريئة ، واننى يجب أن أؤمن ببراءتها
فقرأ بوارو الخطاب ثم نظر فى شئ من التفكير ، ثم قال :

- هكذا كلهم يقولون ذلك
- لا ، لا ، ليست أمى من النوع الذى يكذب ليربح ضميم
الخير - ان الاطفال عادة يتذكرون أشياء لا تكاد تخطر ببال أحد انهم
يتذكرونها ، ومن بين ذكرياتى القليلة عن أمى ، أنها من النوع الذى
لا يكذب أبدا ، كان الصديق طبيعة فيها ، ومن ثم فانى أتذكر
اننى كنت شديدة الثقة بها وأنا طفلة ، ولا زلت حتى الآن أشعر



« لا ، لا ، ليس للعاطفة دخل في هذا الشئ براءة امي يامسيويوارو »
« وانما هو خطايا هذا ، لقد تركته في قسطنطينية . . . »

بهذه الثقة التي لا حد لها ، ومن ثم اذا قالت انها لم تقتل أبى ، فهي لم تقتله مطلقا ، انها ليست من النوع الذى يقسم كذبا وهو على فراش الموت ، مهما يكن السبب

وأوما بوارو برأسه فى بطنه ، بينما استطردت كلارا تقول :
- اننى أستطيع أن أتزوج بجون وأنا مطمئنة الى براءة أمى ، ولكن هو ، ما شسعووه ؟ كيف أقنعه ببراءتها ، كيف أجعله لا ينظر الى فى خوف ، اذا اختلفت معه لأى سبب بعد الزواج ؟ اننى أريد أن أثبت له بالدليل الحاسم انها بريئة ، وأنه ليس هناك ما يدعو الى أن ينظر الى هذه النظرة الخائفة فى مستقبل الايام
- لنفرض أن أمك بريئة حقا ، كيف يمكن اثبات براءتها ، بعد أن مضى على الحادث ستة عشر عاما ؟

- أنا أعرف أن الأمر من هذه الناحية جد عسير ، وأعرف أيضا انه لن يكون فى وسع أحد غيرك أن يقوم بهذه المهمة فابتنم بوارو وقال :

- انك تنفخين فى بقوة !

- لقد سمعت عنك ، وسمعت عن الأعمال الباهرة التى قمت بها ، وكيف قمت بها ، سمعت أنك تستطيع أن تكشف غوامض الجريمة وأنت جالس فى مكتبك بعد أن نوضع أمامك كل الملبسات المحيطة بها ، أى دون أن تحتاج الى فحص أعقاب السجائر ، أو قياس آثار الاقدام ، أو شم تراب الارض ، ومن حسن الحظ أن جميع الذين كانوا فى بيت أبى أثناء موته لا يزالون على قيد الحياة
- حسنا يا آنسة ، لسوف أجمع الحقائق من هؤلاء الاحياء ، وأعيد البحث والتحري ، وأرجو أن أصل الى الحقيقة فلما نهضت وهى تشكره ، قاطعها قائلا :

- اننى سأبحث عن الحقيقة ايا كانت يا مس لامرشانت هل تفهمين ؟

- نعم ، اننى أريد الحقيقة الخالصة ، فاذا ثبت لى ، يقينا ، أن أمى هى القاتلة ...

وصمتت برهة قبل أن تردف قائلة :

- يجب أن أدفع ثمن الجريمة ، واعتزل الحياة فى دير لادعو لها بالرحمة والغفران

الفصل الثانى

مفتش البوليس

قال مفتش البوليس ، هيل ، وهو ينقث دخان بييته :
- هذا عجيب يا مسيو بوارو ، كيف يمكنك أن تعساود البحث
والتحرى لكشف غموض جريمة وقعت منذ ستة عشر عاما ؟
- اننى اعرف انه امر غير مالوف ، ولكن ...
- ولكن ، لماذا كل هذا العناء ؟
- من اجل البحث عن الحقيقة ، ومن اجل كلارا ومستقبلها . ان
حياتها الآن بين يدي ، فاما ان اتبيع لها الفرصة لان تتزوج وتنعم
بالحياة كما ينبغي ، واما ان تعزل هذه الحياة فى دير
فهو مفتش البوليس كتفيه وقال :
- انك رجل قابع يا مسيو بوارو ، فما ضرك لو انك اخترعت
لها قصة قائمة على سلسلة من التحريات الوهمية لاقتاعها ، اعنى ،
لائبات براءة أمها
- انك لا تعرف كلارا
- لا لا ، مهما تكن قوة شخصيتها ، وحدة ذكاتها ، فانها لن
تستطيع ان تقف امام رجل موفور التجارب مثلك
فرفع بوارو رأسه فى تحد وقال :
- ايا كان الامر يا مستر هيل ، فانى لم اتعود ان ابالغ فى
الكذب الى هذا الحد ، لاسيما اذا كان فى الامر مكافأة ضخمة تبلغ
خمسة آلاف جنيه لائبات الحقيقة ، الحقيقة الخالصة
- اننى آسف يا مسيو بوارو ، لم اكن اقصد جرح مشاعرك ،
اننى فقط مشفق على هذه الفتاة الحسناء البريئة التى وهبتها

الطبيعة كل شيء ، وتوشك هي أن تحرم نفسها من كل شيء . انها
حاسة

— الآباء يأكلون الحصرم ، والابناء يضرسون !

— هذا صحيح . ولكن ، أية حقيقة تريد اثباتها ، بعد أن ثبتت
فعلا منذ ستة عشر عاما ، وصدر الحكم ، ولولا الظروف ، حفة ،
لأنت كارولين كريل على جبل المش.

فقال بوارو بهدوء .

— ان حديثك هذا يا مستر هيل له أكبر الأثر في نفسي . فأنا
عرف أنك ، طول حياتك ، رجل مستقيم شريف جاد ، وأرجو أن
تخبرني بصراحة : ألم يخامرك الشك ، أدنى الشك في أداة
سز كريل ؟

فأسرع المفتش يقول :

— مطلقا يا مسيو بوارو ، ان جميع الأدلة ، والقرائن ، والاثباتات ،
وشهادات الشهود ، كانت تشير اليها

— هل يمكن أن تخبرني بالأدلة التي توافرت على ادانتها ؟

— مؤكد . فمبذ أن بلغت رسالتك بخصوص هذا الأمر ، وأنا
أراجع سجل الجريمة ، وأضع العلامات والاشارات تحت الحقائق
الواضحة

— شكرا جزيلا يا صديقي ، انى أشد ما أكون شوقا الى سماع
هذه الحقائق

فتسرع المفتش هيل ، ثم قال فى لهجة جادة :

— فى تمام الساعة الثانية وخمسة وأربعين دقيقة بعد ظهر اليوم
الثامن عشر من شهر سبتمبر ، اتصل الدكتور فوسيت تليفونيا
بالمفتش كونوى ، وأخبره أن المدعو اميساس كريل مات فى قصره
بالدربرى ، وأن الظروف المحيطة بالوفاة ، كما ذكرها المستر فيليب
بليك صديق المتوفى ، وأحد ضيوفه ، تحتم وضع الامر بين أيدي
رجال البوليس ، ومن تم مسح المفتش كونوى السرجنت
رودى وطبيب الصحة ، وأسرعوا الى الدربرى ، وهناك مضى بهم
الدكتور فوسيت فورا الى جثة المتوفى التى لم يحركها أحد من
مرضسها ، وكان المستر كريل ، قبيل وفاته ، يرسم فى حديقة

صغيرة مقفلة تابعة لقصره ، تسمى حديقة البحر ، لأنها تطل من مرتفع ، على البحر ، وتقع على مسيرة أربع دقائق من القصر ، ولم يكن المستر كرييل قد ذهب الى القصر ليشارك في تناول طعام الغداء مع زوجته وضيوفه ، لأنه اراد ان يرسم بعض الظلال والاضواء على لوحته في تلك الساعة من النهار قبل ان تميل الشمس نحو المغرب . ومن ثم بقي بمفرده ، في حديقة البحر ، يرسم . ولم يكن في هذا ما يدعو الى العجب ، لان المستر كرييل لم يكن يهتم بمواعيد طعامه اذا تعارضت مع انهماكه في الرسم . وكان يكتفى في مثل هذه الحالات ببعض الشطائر ، ترسل اليه . ولكنه ، كان يفضل ، عادة ، ان يبقى وحيدا لا يزوجه أحد . وكان آخر من رآه حيا هما مس الزا جرير « ضيفة بالمنزل » والمستر ميرديث بليك « جار وصديق » . وقد غادر الاثنان معا حديقة البحر وذهب الى القصر ، حيث اشتركا مع بقية الضيوف في تناول طعام الغداء . وبعد الطعام ، قدمت للجميع القهوة في الشرفة الكبيرة ، وفرغت مسز كرييل من شرب قهوتها ، وقالت انها ستذهب الى حديقة البحر لترى ماذا يفعل كرييل ، زوجها ، ونهضت المس سيسيليا ويليامز - المريية - معها وصحبتهما في الطريق الى حديقة البحر قائلة انها ستبحث عن الصديقية الصوف الخاصة بتلميذتها انجيلا وارين ، الاخت غير الشقيقة لمسز كرييل ، وكانت المريية تعتقد ان انجيلا تركت صديقتها على شاطئ البحر

وسارت الاثنتان معا في الطريق الضيق المتعرج الذي تحف به الاشجار ، حتى وصلت الى الباب المغضى الى حديقة البحر . ويمكنك عندئذ ان تدخل الى الحديقة ، او ان تستمر في الطريق الضيق حتى تصل الى الشاطئ . ودخلت مسز كرييل الحديقة ، واستمرت مس ويليامز في سيرها ، ولكنها لم تلبث ان عادت بسرعة حين سمعت صراخ مسز كرييل ، ولما دخلت الحديقة بدورها رأت المستر كرييل متهاكما على المقعد الخشبي الطويل ميتا !

والحت عليها مسز كرييل ان تسرع بالعودة الى القصر والاتصال تليفونيا بطبيب ، وفيما كانت مس ويليامز في طريقها الى القصر ، التقت بالمستر ميرديث ، فعهدت اليه بالقيام بمهمة استدعاء الطبيب ثم اسرعت عائدة الى المسز كرييل ، وهي تشعر انها احوج ما تكون

الى وجود احد بجانبها في هذا الظرف ، وحضر الدكتور فوسيت بعد ربع ساعة ، وأدرك ، من اول نظرة ، ان كريل مات منذ فترة غير وجيزة . وقد حدد موعد الوفاة فيما بين الساعة الواحدة والساعة الثانية بعد الظهر . ولم يكن هناك ما ينم عن سبب الوفاة . لا اصابة ، ولا جراح ، ولا آثار اختناق ، ورغم هذا ، فقد اشتبه الدكتور فوسيت في سبب الوفاة لانه يعرف ان كريل كان يتمتع بصحة جيدة ، ولم يكن يشكو من أى مرض او ضعف . ولهذا قرر ان يعرف كل الظروف المحيطة بالوفاة ، وعندئذ ادلى المستر فيليب بليك الى الدكتور ببعض البيانات التى جعلته يضع الامر بين ايدي رجال البوليس

وتوقف المفتش هيل برهة ، وتنفس بعمق ، ثم عاد بقرا ، وكأنه يبدأ الفصل الثانى ، فقال :

... وبطبيعة الحال أعاد المستر فيليب بليك أقواله على مسامع المفتش كونوى ، فقال ، اى فيليب بليك ، انه تلقى في الصباح مكالمة تليفونية من اخيه ميرديث بليك ، صاحب ضيعة هاندكروس ، الواقعة على مسافة ميل ونصف ميل من قصر كريل ، وكان المستر ميرديث كيماليا هاويا ، او على الاصح ، أحد هواة استخراج العقاقير من النباتات الطبية « هيربالست » . وعندما دخل المستر ميرديث بليك في هذا الصباح الى معمله الخاص ، لاحظ ، لدهشته ، ان الزجاجاة المحتوية على مادة الكونين « المخدر السام » ، ناقصة جدا ، بينما كانت ممتلئة تماما في اليوم السابق . ولما أزعجته هذه الحقيقة ، اتصل تليفونيا بأخيه فيليب بليك ، الذى كان ضيفا على كريل في قصره وأخبره بهذا الامر ، والتمس منه النصيحة فيما ينبغى ان يفعل . وطلب فيليب من اخيه ان يحضر فورا الى قصر الدربرى ليتباحث معه في هذا الامر . وقد سار هو - فيليب - ليلنقى بأخيه في الممر المؤدى الى القصر ، ثم عاد معه الى القصر وهما يتحدثان في هذا الامر دون ان ينتهيا الى نتيجة ، فتركاه ليستأنفا الحديث فيه بعد طعام الغداء

« اما الحقائق التى وصل اليها المفتش كونوى ، بعد التحريات والابحاث اللازمة فهى : بعد ظهر اليوم السابق على الوفاة ، سار خمسة أشخاص من قصر الدربرى لزيارة المستر ميرديث في منزله

بضيعة هاندكروس ، وهؤلاء الخمسة هم : مستر ومسز كريل ، انجيلا وأرين ، مس الزا جرير ، مستر فيليب بليك . وفي خلال الفترة التي قضوها هناك ، التقى عليهم المستر ميرديث بليك ما يشبه المحاضرة عن طريقة استخراج مخدر الكونين من امشب طيبة خاصة ، وعن قوة مفعوله ، وعن أسفه لاختفاء هذا المخدر من الصيدليات الحديثة برغم أنه ثبت طبييا أن الجرعات القليلة جدا منه ، تشفى من السعال الديكي والربو . وأخيرا قرأ لهم فصلا مؤثرا عن موت سقراط بعد أن وضع في كأسه قطرات من هذا المخدر السام بالذات «

ومرة أخرى توقف المفتش هيل عن القراءة ، ثم راح يحسبوه غليونيه قبل أن يبدأ في قراءة الفصل الثالث من المأساة :

— ووضع الكلونيل فرير ، مدير البوليس ، هذه القضية بين يدي وقد ثبت بعد تشريع الجثة أن الوفاة نتجت عن التسمم بعقار الكونين . وذلك رغم أن هذا العقار لا يكاد يترك أثرا يدل عليه في جسم الضحية ، ولكن الاطباء عرفوا كيف يظفرون بهذا الاثر في جسم القاتيل . وقد قرر هؤلاء الاطباء أن المخدر السام دس للمجنى عليه قبل الوفاة بساعتين أو ثلاث ، وكان أمام المستر كريل ، على منضدة صغيرة ، كأس وزجاجة بيضاء فلونتين . وثبت من تحليل البقايا الموجودة بهما أنه لا يوجد أثر للكونين في زجاجة البيرة ، ولكن الاثر موجود في الكأس الفارغة . وقد علمت من تحرياتي أنه برغم وجود زجاجات بيضاء وكؤوس في خزانة خاصة بحديقة البحر لتكون تحت طلب المستر كريل اذا احس بالظما ، برغم هذا ، فقد ثبت أن المسز كريل في ضحي هذا اليوم بالذات حملت زجاجة بيضاء من ثلاثة القصر وذهبت بها الى زوجها ، حيث كان منهما في رسم لوحة لمس الزا جرير ، التي كانت جالسة على سور الحديقة ، في وضع خاص للرسم

وفتحت مسز كريل الزجاجة ، وملأت منها الكأس ، ووضعت الكأس في يد زوجها وهو واقف أمام لوحة الرسم . وقد شرب هو — كمادته — الكأس في جرعة واحدة ، ثم بدأ الامتنعاض على وجهه وهو يعيد الكأس الى المنضدة ، ويقول : « كل شيء في فمي اليوم مر » . وعندئذ ضحكت المس الزا جرير ، وقالت له : « لا بد أن الكبد عنذك متعب » واجاب هو عليها بقوله : « على كل حال هذه البيرة مثلجة »

وتوقف هيل عن الحديث ، فقال له بوارد :

— كم كانت الساعة عندما حدث هذا ؟

— في نحو الحادية عشرة والربع

واستطرد المفتش هيل في حديثه عن الجريمة قائلا :

— وظل المستر كريل منهمكا في عمله ، وقد ذكرت المس الزا جريز انه بعد فترة وجيزة من شرب البيرة ، بدأ يشكو من مصلب لطرفه ويقول انه لايد موشك على المرض باثروماتوزم ، ولكنه كان من نوع الرجال الذين يكرهون الاعتراف بأية حالة مرضية طارئة تعثر بهم ، ولهذا السبب ، ظل متحاملا على نفسه ، ثم طلب من الزا وميرديث في ضيق أن يدعاه بمفرده ويلدعها لتناول طعام الغداء . وهكذا ترك بمفرده . وليس من شك في انه ، بعد ذهابهما ، تهالك ليستريح ، ولا شك أيضا أن الشلل العضلي قد سرى في جسده مندئذ كما قرر الاطباء . وهكذا لم يستطع أن يستنجد بأحد ، وكانت النتيجة انه مات أثناء انشغال الجميع بطعام الغداء وصمت المفتش هيل كأنما يستعد لبدء الفصل الرابع من المأساة ، ثم عاد يقول :

— والآن لنستعرض الحقائق التالية ، التي اثبتتها التحريات الدقيقة : في اليوم السابق حدثت مشادة عنيفة بين مس الزا جريز ومسر كريل ، وذلك عندما أعلنت مس الزا ، بجرأة ، انها قررت الزواج من المستر كريل ، وانه اتفق معها على هذا ، وردت عليها مسز كريل قائلة أن هذا لن يحدث ، وأن مس الزا واهمة فيما ترمم ، وعندئذ أقبل مسر كريل الى الغرفة ، فالتفتت اليه زوجته وقالت له :

— هل قررت ، حقا ، يا امياس ان تتزوج بالزا ؟

وعندئذ بدأ الاهتمام بوضوح على وجه بوارد ، مما جعله يقول للمفتش هيل :

— هه . وبماذا أجاب كريل على هذا السؤال ؟

— يبدو انه استدار الى مس الزا وهتف بهسا غاضبا : « ماذا تقصدين بحق الشيطان من الافشاء بهذا السر ؟ ألا تعرفين كيف تسكين لسانك بضمة إيام » . وعندئذ قالت مسز كريل لزوجها :

« اذن فقد انفقتما على الزواج فعلا ؟ » فاشاح زوجها بوجهه وغغم بكلمات غامضة ، فعادت زوجته تقول له : « لماذا لا تجيب اليس من حقى ان اعرف ؟ » فمز كتفيه وقال لها : « نعم هذه هى الحقيقة ، ولكنى غير مستعد للمناقشة الآن » ثم غادر الغرفة مسرعا ، بينما قالت مس الزا جرير لمسز كريل انها تريد منها مواجهة الحقيقة بشجاعة ، وانها شخصا ، ترجو ان تظل ، اى مسز كريل ، صديقة لزوجها بعد طلاقها منه

وقال يوارو :

— وماذا قالت مسز كريل عندئذ ؟

— قال الشهود انها ضحكت وقالت : « انك لن تتزوجى بامياس الا بعد وفاتى » ثم توجهت الى باب الفسرفة ، ولكن مس الزا هتفت بها : « ماذا تعنين يا مسز كريل » فنظرت اليها مسز كريل قائلة : « اعنى انى سأقتل امياس قبل ان اتركه لك »

وتوقف المفتش هيل عن الحديث ، وقال يوارو :

— اعتراف خطر ، من سمع هذه العبارات ؟

— كان بالفرفة مع مس الزا ومسز كريل ، المستر فيليب بليك ، ومس ويليامز المريية ، ولا شك ان الموقف بالنسبة لهما كان بالغ الحرج

— وهل اتفقت شهادة كل منهما مع شهادة الاخر فى هذا الموضوع ؟

— نعم . . بقدر ما يمكن ان يتفق شاهدان رآيا أو سمعا شيئا واحدا فى وقت واحد ، فان كلا منهما يصف ما رأى أو سمع بطريقته الخاصة

واستطرد المفتش هيل فى حديثه عن المأساة فقال :

— وامرت باجراء تفتيش دقيق فى انحاء القصر ، وقد عثرنا فى غرفة نوم مسز كريل على زجاجة موضوعة تحت كومة من الجوارب القديمة فى أسفل درج خزانة الملابس ، وكانت زجاجة فارغة من زجاجات عطر الياسمين ، ولما فحصنا آثار البصمات عليها لم نجه غير بصمات مسز كريل ، اما تحليل البقايا الموجودة بها فقه اثبت ان بها آثارا بسيطة لعطر الياسمين ، وآثارا واضحة نسوي

لمحلول هيدروبرومييد الكونين .. وحذرت مسز كريل واطلمتها على الزجاجة ، فاجابت فوراً انها كانت في حالة معنوية سيئة ، وانها قررت ، بعد سماعها محاضرة المستر ميرديث عن مقبول الكونين السام ان تأخذ كمية منه ، ففاقت الموجودين وتسلمت الى معمله ، وافرغت عطر الياسمين من زجاجة حقيبة يدها ، وملأتها من عطر الكونين ، ولما سألنها لماذا فعلت هذا قالت : « اننى لا أريد أن أطيل الحديث في موضوع شخصى ، ولكن يكفى القول انى تلقيت صدمة قاسية ، وذلك عندما صارحنى زوجى بأنه سيهجرنى ليتزوج من فتاة أخرى ، فاذا صبح هذا ، فلن أستطيع الحياة بدونه ، ولهذا أخذت الكونين »

وقال بوارو عندئذ :

— هذه اجابة مقنعة الى حد ما

— نعم .. ولكن هذا لا يتفق مع قولها لا لزأ جرير انها تفضل أن تقتل كريل على أن تعطيه لها ، ثم هناك المشادة الاخرى التى حدثت في صباح يوم الوفاة وسمع فيليب بليك طرفاً منها .. وكذلك مس الزا جرير سمعت طرفاً آخر من نفس هذه المشادة التى حدثت في غرفة المكتبة بالقصر بين مستر ومسز كريل . وكانت الزا جالسة تحت نافذة المكتبة المفتوحة ، وسمعت الشيء الكثير من هسله المشادة

— وماذا سمعت هى وفيليب بليك !!

— سمع المستر فيليب مسز كريل تقول لزوجها في غضب : « هكذا انت دائماً مع نساتك . لشد ما أتمنى أن أقتلك ، حتما سيأتى اليوم الذى أقتلك فيه »

— ألم يسمع شيئاً عن عزمها على الانتحار ؟

— لا . مطلقاً . لم يسمع مثلاً أية عبارة كهذه « اذا فعلت هذا فسوف أقتل نفسى » ، أما الزا جرير فقد سمعت هذا الحوار بين الزوجين :

قال كريل : « كونى عاقلة رزينة ياكارولين . اننى أميل اليك وأحب لك الخير دائماً ، أنت والطفلة طبعاً ولكننى سأأتزوج الزا .. وقد اتفقنا على أن يكون كل منا حراً في تصرفاته » فقالت

كارولين : « حسنا . لا رعم اننى لم احذر لك » ، فقال كرييل :
« ماذا تعنين ؟ » .. فقالت كارولين : « اعنى اننى احبك » ، ولن
اسمع لاحد ان ينتزعك منى . اننى افضل ان اقتلك على ان ادع
هذه الفتاة تظفر بك »

وصمت المفتش هيل بعد ان فرغ من ترديد هذا الحوار على مسامع
بوارو الذى قال :

— يبدو لى ان الزا جرير كانت حقا في تحديها لمسز كرييل ،
فقد كان في وسع هذه الاخيرة ان ترفض الطلاق من زوجها كرييل
نهائيا

فقال المفتش هيل :

— لدينا بعض الادلة الخاصة عن هذا الموضوع . فان مسز
كرييل افضت بالامها ، كما يبدو ، للمسترميرديت بليك ، وهو
صديق قديم للأسرة . ويبدو ايضا انه شعر من اجلها بأشسده
الحزن ، واستطاع ان يتحدث مع كرييل في الموضوع على انفراد ،
وامتقد ان هذه المحادثة دارت في اليوم السابق على المأساة ، وقد
ذكر ميرديت لصديقه انه سسيكون حزينا ابلغ الحزن لو حدث
الطلاق بين مستر ومسز كرييل ، وكذلك اشار الى فارق السن
بين الزا التى لم تكن تجاوزت العشرين ، وبين كرييل الذى بلسغ
الاربسين ، وانه لا يليق جرجرة فتاة صغيرة كهذه في قضية طلاق ،
وقد رد كرييل على هذا بضحكة خفيفة ، تتم عن استهتاره التام
بالملاقات الزوجية ، ثم قال : « ان الزا ان تظهر في المحكمة عند
نظر قضية الطلاق ، واننا قد اتفقنا على طريقة ننتهى بها الموضوع
بغير ضجة »

وعندئذ قال بوارو :

— مادام الامر كذلك ، فلماذا افشت الزا السر وتحدثت مسز كرييل
في بيتها ؟ لاشك انها حماقة بالغة الشأن

فقال المفتش هيل :

— ان الرجل لا يعرف حقيقه ما يدور بذهن المرأة والمهم ان
الموقف كان شديدا الحرج للجميع في القصر ، ولست ادري كيف
سمح كرييل بنشوء مثل هذا الموقف بين المراتين ؟ ان المسترميرديت

بليك يفسر هذا بقوله أن كريل كان شديد الاهتمام بالصورة التي يرسمها ليس الزا جرير فهل هذا معقول ؟
- نعم يا صديقي ، أن هذا معقول جدا
- ولكنه ، في رأيي ، غير معقول ، لقد كان يسعى بنفسه الى خلق المشكلات

- من المحتمل جدا أنه كان يشعر بالاستياء الشديد من الزا جرير لأنها اقشست السر قبل الوقت المتفق عليه
- نعم . . كان مستاء منها . هكذا تشهد مريدث بليك .
ولكن اذا كان مهتما بالفراغ من الصورة فلماذا لم يستعن ببعض صورها الشمسية في اتمام الصورة فلا يضطر الى ابقائها مع زوجته في القصر . اننى أعرف رساما شابا ينقل صورا بالالوان المائية ، من صور مناظر طبيعية شمسية
فقال بوارو باسم :

- أن كريل لم يكن ليلاجا الى مثل هذه الطريقة البدائية في الرسم لقد كان ، كما فهمت ، رساما كبيرا ، فنانا نابغة ، وليس من المتبع أن يكون فنه اهم لديه من كل شيء . ولاشك أن الفراغ من رسم الفتاة كان اهم لديه من التجميل بزواجها ولعل هذا هو السبب الذي من أجله كان يريد أن يفرغ من رسم اللوحة قبل أن تضرب الاحوال بين الفتاة وزوجته . أما الفتاة ، فانهما لم تدرك هذه الحقيقة . فالحب ، عند المرأة ، يأتي دائما في المقام الاول

فقال الفتش هيل :

- كلنا يعرف هذه الحقيقة

- ولكن الرجال يختلفون ، لاسيما الفنانون منهم ، فان للفن أصبا

فقال الفتش في احتقار :

- الفن ؟ ماهذا الحديث من الفن ؟ اننى لا أفهمه ، وما اظن اننى سأفهمه يوما ، ولناخذ مثلا هذه الصورة التي رسمها كريل للفتاة . انها صورة غريبة عجيبة كأنها الفتاة كانت تشكو من وجع اسنانها وهي جالسة أمامه . أما السياج الحجري الذي كانت جالسة

عليه ، لقد بدأ غريباً أيضاً . انتهى حتى الآن ، وبعد ستة عشر عاماً لازلت أذكر نفورى من هذه الصورة

فابتسم يوارو وقال :

— انك تقرظ هذه الصورة أعظم تقرظ دون أن تدري

— لا ، لا ، أنا لا أقصد هذا . لماذا لا يحاول الرسام أن يرسم كل شيء طبق الأصل كما هو ؟ لماذا يتعب نفسه لكي يجعل الصورة تبدو غريبة عجيبة ؟

— ان بعضنا يا صديقى يرى الجمال في كل عجيبة غريب

— أيا كان الأمر ، فان مس الزا جرير هذه كانت في تلك الأيام جميلة فاتنة ، ولعلها لا تزال محتفظة حتى الآن بجمالها . وبهذه المناسبة أذكر أنها تزوجت مرتين : الأولى من رحالة مفاخر لا أذكر اسمه ، والثانية من زوجها الحالي اللورد ديتشام . وهى معسوفة في الأوساط الراقية الآن باسم الليدى ديتشام

— حسناً جداً . هل أفهم من هذا أن الشاهدين الأساسيين اللذين كانا ضد مسز كريل هما فيليب بليك ومس الزا جرير ، أليس كذلك ؟

— نعم كانا ضد مسز كريل على طول الخط . وقد شهدت أيضاً المربية مس ويليامز ، ورغم أنها كانت شديدة العطف على مسز كريل ، فان شهادتها أساءت الى موقف المتهمه الى حد كبير . ذلك لأنها سيدة صادقة لا تقول غير الحق ، ولا تحاول المراوغة من الإجابة ولو كانت هذه الإجابة ضد أقرب الناس اليها

— وميرديث بليك ؟

— كان يعرب في شهادته عن حزنه والله ، ويلوم نفسه على استخراج هذا المخلد السام في معمله ، وقد لامه المحقق . وكان على الجملة نموذجاً للرجل المحافظ ، الذى يكره هذا اللون من المحاكمات المثيرة

— وهل شهدت الاخت الصغرى لمسز كريل ، اعنى انجيلا وارين ؟

— لا ، لم يكن هناك ما يدعو الى سماع أقوالها ، فانها لم تسمع اختها وهى تهدد زوجها بالموت ، ولم يكن لديها من الأقوال أكثر مما سمعناه من شهود الحادث ، فقد رأت مسز كريل وهى تأخذ الزجاج ، زجاجة البيرة ، من التلاجة ، وكان في مقدور الدفاع أن

يركز جهده في هذه الناحية ويثبت أن مسز كريل لم تعبت بمحتويات الزجاجاة . ولكن هذا الدفاع لم يكن ضروريا ، لان ممثل الاتهام لم يدع أن السم كان في الزجاجاة

— اذن كيف استطاعت مسز كريل ان تضع السم في كأس زوجها أمامه ، وأمام مس الزا ومستتر ميرديث ؟

— أولا كان كريل منهمكا في الرسم ، وكانت الزا جريز جالسة بعيدا في وضع خاص بحيث كان ظهرها تقريبا الى مسز كريل . أما مستتر ميرديث فكان في مكان بعيد عن الجميع

فضمغم بوارو قائلا :

— يبدو أن لديك الاجابة المقنعة عن كل سؤال

— أن الامر جد واضح يامسيو بوارو ، فقد ثبت باعترافها وشهادة الشهود أولا : أنها هددت زوجها بالموت ، ثانيا : أنها سرقَت المادة السامة من معمل مستر ميرديث ، ثالثا : وجدت الزجاجاة الفارغة التي كانت تحتوى على المادة السامة في غرفة نومها ، وليس عليها غير بصمات أصابعها . رابعا : أنها هي التي حملت زجاجة البيرة الى زوجها ، وقدمت اليه الكأس ، أخسر كأس شربها زوجها قبل وفاته ، وقد قال في امتعاض ان كل شيء يبدو في فمه نرا هذا اليوم ، والعجيب في هذا الامر انها تهتم بحمل الشراب المنلج اليه رغم الخصومة التي كانت بينهما

— ان هذا في الواقع شيء يشير التسؤل والدهشة !

— نعم ؟ لماذا أصبحت فجأة لطيفة معه ، مهتمة بأمره ؟ لكي تحقق غرضها طبعاً . وقد رتب الامر لكي تكتشف الجثة بنفسها ، ومن ثم أرسلت مس ويليامز لاستدعاء الطبيب وذلك لكي تزيل عن الكأس والزجاجاة آثار بصماتها وتضغط بأصابع القتل على الزجاجاة فقال بوارو في دهشة :

— تضغط بأصابع القتل على زجاجة البيرة ؟

— نعم . . ولكن خلعتها انكشفت بسهولة ، وقد جعلها ممثل الاتهام اضحكة الجميع في المحكمة حين بين للقضاة ان وضع بصمات القتل بدل يوضوح على انه مغنعل ، وانه لا يمكن أن يكون قد أمسك الزجاجاة في هذا الوضع الا اذا كانت مقلوبة ، وكانت هي ترجو أن نوهمنا أن زوجها مات منتحرا بسبب وخز الضمير . ولكن ثبت للجميع ، من شهادة الشهود ، وظروف حياة القتل ، انه آخر من يفكر مجرد تفكير في الانتحار

ولما أوما بوارو براسه ، استطرده المفتش يقول :

— انها لم تحاول ان تفكر لحظة واحدة تفكيرا سليما . كان الحققد
والغيرة قد اكلا قلبها واضلا عقلها . اكانت تريد ان تقضى عيسىه .
فلما نجحت في هذا ورائه امامها جثة هامدة ، بدأت تدرك هول
الجناية التي ارتكبتها ، والمصير المنتظر لها ، فشرعت تبحث عن
منقذ للنجاة ، فلم تجد امامها غير نظرية الانتحار

— معقول جدا

— هل اقتنعت الان يا مسيو بوارو بان هذه القضية كانت واضحة
منذ اللحظة الاولى ؟

— تقريبا . . . ولكن لا تزال هناك نقطة او اثنتان في حاجة الى مزيد
من الايضاح

— اننى على استعداد لان ارد على اى سؤال

— ماذا كان يفعل المقيمون فى القصر او بقية الضيوف فى ذلك
الصباح ؟

— لقد تحريتنا عن تصرفات كل واحد منهم . . ولكنى ابادر فاقول
انه فى حالة وقوع جريمة قتل بالسم لا يمكن ان يكون اى انسان قريب
من مسرح الجريمة ، فوق الشبهات تماما ، لا سيما اذا كان السم
من النوع البطيء المفعول . اعنى ان فى مقدور اى قاتل ان يعطى
كمية من السم فى برشامة الممجنى عليه قائلا له انها دواء لمرض الهضم
— مثلا — يؤخذ بعد الاكل ، ثم يسافر الى آخر الدنيا بالطائرة ،
ويموت المجنى عليه دون ان يعرف احد الحقيقة

— ولكنك لا تعتقد ان هذا ما حدث ؟

— لا لا . . لم يكن المستر كريل يعاني عسر الهضم . ولا اعتقد
ان احدا اعطاه السم فى برشامة . . حقا لقد نصح له مستر ميرديث
بتعاطى « بلابيج » خاصة لتقوية الجسم من صنع يديه ، ولكن كريل لم
يعمل بهذه النصيحة ، ولو انه عمل بها لجعل من هذا الدواء مادة
الضحك والتندر . . ثم انه ليس هناك ما يدعو ميرديث الى قتل
كريل . . فقد كانت العلاقة بينهما اطيب ما تكون مودة وتقديرا
متبادلا . . وكذلك كان الحب يربط بين ممس الزا وكريل . . فليس
هناك ما يدعوها لقتله ، وايضا ليس هناك اى باعث لان يقتل فيليب

بيك اغر اصدفائه ، واعنى به كريل ، ولكننا لا نذكر ان مس ويليامز
ثم تكن على علاقة طيبة بكريل ، اذ كانت تعرب دائما عن نفورها من
سلوكه مع النساء ، واستهتاره المشين بالعلاقات الزوجية .. ولكن
نفورها هذا ما كان ليصل الى حد ارتكابها جريمة قتله بالسم .
وكذلك كانت مس انجيلا وارين دائمة الشجار مع زوج اختها .
ولكنها كانت صبية صغيرة على وشك الالتحاق بمدرسة داخلية ..
وكانت رغم شجارها الدائم مع كريل تميل اليه ويبادلها هسدا
الميل ، والمعروف ان هذه الفتاة كانت تعامل في القصر معاملة خاصة
زاخرة بالحب والعطف والتدليل ، وذلك لانها اصببت على يدى
اختها مسز كريل ، وهى طفلة صغيرة ، باصابة شوهدت جانب وجهها
وافقدت احدى عينيها النظر .. ولهذا كانت مسز كريل تحاول ان
تعوضها عما اصابها بالاسراف في الحب والتدليل وتلبية كل رغباتها
وعندئذ قال بواردو :

— ولكن هذا لا يمنع من استمرار الفتاة في الشعور بالحقد على
اختها كارولين التى كانت السبب في تشويه وجهها !

— ربما .. ولكن هل يمكن ان يدفعها هذا الحقد ، ان كان موجودا ،
الى قتل امياس كريل ؟ انه احتمال بعيد جدا ، وايما كان الامر ، فان
مسز كريل قد تولت بنفسها رعاية اختها هذه غير الشقيقة بعد
 وفاة والديها ، واسبغت عليها من الحب والعطف الشيء الكثير .
وقد شهد الجميع ان انجيلا كانت تحب اختها اشد الحب ، ولهذا اصررت
مسز كريل على ان تظل الفتاة بعيدا عن اجراءات المحاكمة والامها ،
ولكن انجيلا كانت شديدة القلق والحزن والحت في رؤية اختها
بعد صدور الحكم ، ولكن مسز كريل رفضت بشدة ان تقابلها ،
قائلة : « ان منظرها وهى بملابس السجن سوف يترك في نفس الفتاة
الصغيرة اثرا عميقا قد يدمر حياتها » ومن ثم أرسلت بها الى مدرسة
داخلية خارج البلاد

واردف المفتش هيل ، بعد برهة صمت وجيزة ، قائلا :

— لقد اصبحت مس وارين الآن ، اى بعد ستة عشر عاما ،
شخصية مشهورة بعد ان قامت برحلات كثيرة الى مناطق الآثار
وبعد ان ألقت المحاضرات في الجمعية الجغرافية الملكية ، وبعد ان
جعلت لنفسها اسما لامعا في الكتابة للصحف والمجلات

— ولم يعد أحد يذكر المحاكمة ؟

— ولماذا بذكرونها ؟ ان مس وارين لا تحمل اسم والد كارولين ،
فقد كانتا أختين غير شقيقتين ، من أم واحدة وأبوين مختلفين ..
ان اسم والد كارولين ، هو سيالدينج ..

— هل كانت مس وليمز المريية والمدرسة الخاصة لطفلة مستر
ومسر كريل أما لمس وارين ؟

— كانت المريية والمدرسة الخاصة لمس وارين

— واين كانت ابنة كريل عند وقوع المأساة ؟

— كانت مع مرييتها الخاصة في زيارة لجدها الليدى تريليان
وكانت سيدة أرملة فقدت ابنتها ، وأصبحت شديدة التعلق
بحقيدها الصغيرة

ولما أوما بوارو براسه ، استطرد المفتش هيل يقول :

— أما من تصرفات الوجودين في القصر يوم المأساة ، فيمكننى
أن أقدم لك تقريراً كاملاً دقيقاً . فمس الزا جرير كانت — بعد
طعام الافطار — جالسة في الشرفة الواسعة ، تحت نافذة غرفة
المكتبة مباشرة ، وهناك — كما سبق القول — سمعت المشاجرة
التي وقعت بين كريل وزوجته ، وبعد ذلك صحبت كريل الى حديقة
البحر حيث جلست امامه على السور الحجري في الوضع المطلوب
للرسم . وظل كريل يعمل في الصورة حتى موعد الغداء دون أن
يستريح الا مرتين فقط للتخفيف عن عضلاته .. اما فيليب بليك
فكان — بعد الافطار — في القصر ، وقد سمع ايضا طرفاً من المشاجرة
التي وقعت بين الزوجين ، وبعد انصراف كريل والزا جرير الى
حديقة البحر ، جلس في الشرفة يقرأ صحيفة الصباح الى ان اتصل
به اخوه ميرديث تليفونيا وأبلغه نبأ اختفاء كميّة من سم الكونين ،
ومن ثم ذهب ليقابل اخاه عند شاطئ البحر ، ثم سار معه في طريق
العودة الى القصر ، في الممر الصاعد المتعرج ، وقد مرا في طريقهما
بجانب سور حديقة البحر ، وكانت مس الزا جرير قد تركت مكانها ،
وذهبت الى القصر لتحضر سترّة من الصوف تضعها على كتفيها
اثناء جلوسها امام الرسام ، وقد سمع الشقيقان ، وهما يمران
بجوار سور الحديقة ، حديثاً يجري بين مستر كريل وزوجته وكان

يبدو من طبيعة الحديث انهما يتناقشان في موضوع ترحيل انجيلا
وارين الى المدرسة

وعندئذ قاطعه بوارو قائلا :

... آه ... اذن كانت محادثة هادئة ؟

... لا .. لم تكن هادئة بآية حال ، فقد كان كريل يصيح في
حديثه . ويبدو انه كان ممتعضا لان زوجته قطعت عليه عمله في
اللوحه بشئونها المنزلية الخاصة

واوما بوارو براسه ، بينما استطرد المفتش هيل قائلا :

... وتبادل الشقيقان الحديث برهة وجيزة مع كريل .. ثم
حضرت مس الزا جرير بالسترة الصوفية ، وجلست في الوضع
المناسب للرسم ، وعندئذ تناول كريل فرشاته واستأنف عمله
مقطب الجبين ، وادرك الشقيقان انه ليس لهما مجال في حديقة
البحر ، فغادراها الى القصر . وبهذه المناسبة اذكر ان كريل شكا
من سخونة البيرة الموجودة في حديقة البحر اثناء وجود الشقيقين
ومسر كريل معه ، وقد وعدته مسر كريل بان تأتي اليه بزجاجة
مثلجة من التلاجة الموجودة بالقصر

... هكذا ؟

... نعم .. هكذا .. كانت حتى آخر لحظة تعامله بنعومة الاعمى
هذا هو رأي الخاص ، وعلى كل حال ، فقد جلس الشقيقان في
شرفة القصر حيث احضرت لهما انجيلا وارين زجاجات البيرة المثلوجة
مع الاقداح ، وبعد ان شربا كفايتهما ، ذهبت انجيلا مع فيليب بليك
للسباحة ، ومضى ميرديث الى مكان مكشوف يشرف على حديقة
البحر ، فجلس فيه ، وكان يستطيع من مكانه هذا ان يرى الزا
جرير وهي جالسة على السور الحجري ، وان يسمع حديثها مع
كريل .. وقد ظل جالسا في موضعه ذاك يفكر في كمية الكونين
المسروقة من معمله ، وكان شديد القلق لهذا السبب ، ولا يدري
ماذا ينبغي ان يفعل ، وراية الزا جرير من مكانها ، ولوحت يدها .
ولما دق الجرس معلنا عن موعد الغداء ، هبط من مكانه الى حديقة
البحر وغادرها مع الزا جرير الى القصر ، وهو يذكر بهذه المناسبة ،
انه رأى كريل في حالة غريبة .. ولكنه لم يهتم بالامر ، لانه كان
يعرف ان كريل من النوع الذي يكره الاعتراف بأي مرض . كما

كان يعرف انه متقلب المزاج .. فهو احيانا يبدو شديد الابتهاج اذا كان العمل في اللوحة التي بين يديه يسير كما يريد ويرجو : والا ، فهو مكتئب ، متجهم الوجه ناري النظرات ، وفي مثل هذه الحالات لا يسع الانسان الا أن يبتعد عنه . اما عن بقية الموجودين ، فقد كان الخدم مشغولين طوال فترة الصباح بأعمالهم داخل القصر ، وكانت مس ويليامز قد أمضت فترة طويلة من الصباح في شرفة الجلوس ، وأمضت انجيلا وارن معظم فترة الصباح متجولة في الحديقة الواسعة ، أو متسلقة الأشجار ، أو أى شيء من هذا القبيل ولما عادت لم تلبث أن صحبت مستر فيليب للسباحة في البحر وتوقف المفتش هيل أخيرا عن الحديث ، ثم قال فجأة :

... والآن .. هل تجد في تصرفات أحد من الموجودين في القصر ما يشير الاشتباه أو الشك ؟
... لا .. مطلقا

... حسنا .. هل لديك أى شك الآن في اذانة مسز كريل ؟
... انشى لا ادرى على وجه التحديد ، ولكنى سأحاول أن ازداد اقتناعا

... ماذا تنوى أن تفعل ؟
... سأزور الاشخاص الخمسة الذين كانوا موجودين مع مستر ومسز كريل يوم المأساة ، وسأحاول أن أظهر بأقوال كل منهم على حدة بشأن هذه الجريمة
فتنهذ المفتش في عمق وقال :

... وهل تعتقد أن أقوالهم ستنتفق بعضها مع بعض بمسد كل هذه السنوات .. وهلا تعرف هذه الحقيقة البديهية ، وهى أن أقوال شهود الحادث الواحد تختلف عادة باختلاف أمزجتهم وطباع نفوسهم

... ولكن الحقائق الاساسية تبقى ثابتة في أقوالهم المختلفة
... اخشى أن تحصل في النهاية على خمسة تقارير لخمس جرائم يختلف بعضها عن بعض

— ان هذا هو ما اتمد عليه في الوصول الى الحقيقة . . فان
اصطدام هذه الاقوال هو الذي سيطلق الشرارة التي تضيء أمامي
السبيل

وقبل ان ينصرف بوارو ، قال المفتش كاتما تذكر شيئا :
— وبهذه المناسبة نسيت ان اخبرك اننا عرفنا أيضا الوسيلة التي
نقلت بها كارولين السم من الزجاجة الى كأس زوجها
— وما هي ؟!

— خزان قلم حبر ، عثرنا عليه في الممر المتمرج محطما ، بعد ان
داست فوقه عشرات الاقدام !



الفصل الثالث

العدو العاشق

وبدا بوارو تحرياته بزيارة فيليب بليك
وكان فيليب قد أصبح فى خلال هذه السنوات الست عشرة، رجل
أعمال ناجح ، وسمسارا كبيرا فى بورصة الاورق المالية . وكان فى
مظهره قصير القامة ، يعيل الى البدانة ، مكتنز الوجه ، مكر النظرات .
وقد حرص بوارو على أن يخفى عنه الحقيقة الكامنة وراء زيارته، وانما
ذكر له أنه منتدب من شركة كبيرة للنشر ، لجمع الحقائق - الخاصة -
عن الجرائم الكبرى التى اهتز لها الرأى العام خلال العشرين سنة
الماضية ، وذلك لنشرها فى مجلد خاص

وقطب فيليب جبينه فى دهشة وقال :

- يا للسماء .. لماذا يعمد الناشرون الى نبش الماضى ، واعادته الى
أذهان الناس ؟

فهز بوارو كتفيه وقال :

- هذه هى طبيعة القراء .. انهم يحبون هذه الالوان من القراءات
المثيرة

- غيلان !

- ولكنها الطبيعة الانسانية ، فانت وأنا يا مستر بليك أعرف
الناس - بحكم تجاربنا - بطباع البشر ، وقد سمعت أنك من أبرع
الناس فى سرد مثل هذا القصص

وضحك فيليب وقال :

- هل بلغت هذه الحقيقة عنى ؟

- بلا شك .. بلا شك

ونراخى فيليب فى مقعده . ثم قال فجأة :

— انك لست كاتباً فصصيا ، اليس كذلك ؟

فقال بوارو فى تواضع مصطنع :

— لا ... بل مجرد مخبر بوليس خاص

— اوه ... اننى أعرف أنك هيركيول بوارو الشهير

— يسرنى اننى معروف لك ، ولعل هذا ييسر مهمتى لديك

— اننى شخصيا لا اجد اى مانع فى الحديث عن ذكريات الماضى ...

فماذا تريد أن تعرف !

— أرجو أن تحدثنى بكل ما تعرف عن مأساة الرسام امياس كريل ،

فكلنا نعلم أنه كان من أعز اصديقاتك

فصمت فيليب برهة ثم قال :

— لقد أصبحت هذه المأساة ملكا للرأى العام منذ وقوعها ، واعتقد

ان أحداثها والظروف المحيطة بها ، معروفة للجميع ، ولا سيما فى

سجلات البوليس

— ولكننى أرجو أن أعرف رأيك الخاص فى هذه المأساة ، وتأثيرها

فى نفسك

— آه ... تتحدث عن تأثيرها فى نفسى ؟ لقد كان تأثيرها قاسميا

رهيبا ... يكفى أن تعلم أنه كان فى مقدورى أن أنقذ صديقى كريل

من الموت لو أنى تصرفت بسرعة وحكمة عندما أخبرنى أخى ميرديث

عن اختفاء كمية من سم الكونين من معمله

— هل كان هذا فى مقدورك حقا أم أنك تبالغ فى الشعور بوحز

الضمير ؟

— اسمع ... اننى افترض أنك تعرف الحقائق الاساسية عن هذه

المأساة بعد أن قرأت ماكتب عنها فى حينها

ولما أوما بوارو برأسه ، أردف فيليب بليك قائلا :

— حسنا ... عندما أخبرنى أخى ميرديث باختفاء كمية من سم

الكونين من معمله ، كان فى حالة نفسية بالغة السوء ، ومع ذلك ، فلم

أتصرف بالسرعة الواجبة ... وإنما أرجأت مناقشة هذا الامر الى ما بعد

الظهر ... ولكن المأساة وقعت بعد تناول الطعام مباشرة ، أعنى اننا

اكتشفنا وقوعها بعد أن فرغنا من طعام الغداء . ولو أنني احسنت التفكير والتصرف في ذلك الصباح ، لأدركت فوراً أن كارولين هي السارقة لكمية سم الكونين ، ولعملت على تحذير الزا وكرييل . نعم كان ينبغي أن اذهب فوراً اليهما وأخبرهما أن كارولين تنوي بهما شراً ليكونا على حذر .

ونفض بليك وراح يذرع الغرفة جيئة وذهاباً في انفعال ، ثم استطرده يقول :

— يا اله السموت . . . اتظن يا رجل أنني لم أتعذب أشد العذاب كلما فكرت في سوء تصرفي . لقد كنت أعلم ، أو كان ينبغي أن أعلم بداهة أن كارولين هي التي اختلست كمية السم . وكانت الفرصة أمامي سانحة لانقاذ صديقي من الموت ، ولكنني أصممت وتهاونت . لماذا لم أدرك منذ اللحظة الأولى أن كارولين ، هي ثورة غضبها وانفعالها بسبب معاملة زوجها لها ، سوف تنتهز أول فرصة للقضاء عليه بعد أن حصلت على السم ! لماذا تهاونت ؟ هذا هو الذي يؤلمني ويقض مضجعي

فقال بوارو مواسياً :

— اعتقد يا مستر فيليب أنك تثبت في تأنيب نفسك أكثر مما ينبغي ، فلا شك أن الاحداث لم تترك الوقت الكافي . . .

— الوقت الكافي ؟ لقد كان لدى ما يكفي من الوقت، وكانت جميع الفرص واضحة أمامي لانفاذه . . . كان في وسعي أن اذهب الى أمياس لأحذره . . . نعم كان من الممكن أن يضحك ويسخر من تحذيري . فما كان أمياس بالرجل الذي يسهل اقناعه بأنه معرض لأي خطر نعم كان يمكن أن يسخر مني . انه لم يستطع يوماً أن يفهم حقيقة زوجته . لم يكن يدرك مبلغ ما كانت عليه من شر وعنف وقسوة حسناً . ولكن كان في وسعي أن اذهب اليها هي . . . الى كارولين ، وأن أقول لها : « انني أعرف ماذا تنوين أن تفعل ، انني أعرف أنك اختلست كمية من السم من معمل أخي ، فإذا مات أمياس مسماً بالكونين ، فثقي بأنك ستموين على جبل المشنقة » نعم ، ان كلمات كهذه كانت كقيلة بوقفها عند حدها . . . وكذلك كان في مقدوري أن أتصل برجال البوليس ، نعم ، كانت أمامي وسائل كثيرة

لانتفاذ صديقي ، ولكننى ، بدلا من اتخاذها ، تركت ميرديث يؤثر فى نفسى بحديثه الهسائى ، وطريقته البطيئة اذ قال : « يجب أولا يا فيليب أن نعرف ونؤكد من هو الذى اختلس الكونين قبيل أن نلقى بالتهم جزافا » نعم ، هكذا هو ميرديث دائما ، بطيء التفكير بطيء الحركة ، متردد ، حمدا لله أنه الأخ الأكبر الذى ورث الضيعة والقصر ، والامات جوعا ، فانه آخر من يصلح للنجاح فى الحياة وقال بوارو بهدوء :

— اذن لم يكن لديك أدنى شك فى سارقة السم ؟
— لا ، لم يكن لدى أدنى شك ، لقد عرفت فورا أنها كارولين ، نعم ، فانا أكثر الناس معرفة بحقيقة أمرها
— هذا شيء مثير للفضول يامستر بليك ، أى نوع من النساء كانت هى ؟

فقال فيليب بليك فى حدة :
— انها ليست المسكينة المجروحة فى كبرياتها كما ظننا الناس أثناء المحاكمة

— اذن ماذا هى فى الحقيقة ؟
فجلس فيليب مرة أخرى وقال فى لهجة جادة :
— هل تريد حقا أن تعرف كل شيء عنها ؟
— جدا

— كانت كارولين امرأة سوء • لم أر فى حياتى امرأة أسوأ منها ، نعم ، لا أنكر أنها كانت موفورة الجاذبية والجمال ، وأنها كانت تتمتع بهذه الرقة التى تخدع الناس فى حقيقة أمرها ، نعم ، كانت لها هذه النظرة الناعمة ، المستسلمة ، الوداعة ، التى تثير فى قلب الرجل عوامل النخوة والشهامة والفروسية • لقد قرأت فى كتب التاريخ عن الملكة ماري ، ملكة الاسكتلنديين ، أنها كانت جذابة ، جميلة ، سيئة الحظ ، ولكنها ، فى الواقع ذكية ، مدبرة ، ماهرة ، عرفت كيف تضع الحطة للقضاء على الامير دارنلى دون أن تثير حولها الشبهات • وهكذا كانت كارولين ، جذابة ، جميلة ، تبدو وادعة ، ولكن لها فى الواقع نفسية القاتل ، وطباع الوحش وصمت فيليب برهة قبل أن يستطرد قائلا :

— اننى لا ادرى هل علمت بهذه الحقيقة أم لا . فانها لم تكن ذات أهمية كبيرة أثناء المحاكمة ، ولكنها ، فى رأى ، ذات دلالة أكيدة على حقيقة أخلاق هذه المرأة . وأعنى بهذه الحقيقة ما فعلته باختها الصغرى انجيلا وارين . انها الغيرة العمياء . لقد تزوجت أم كارولين مرة أخرى ، وأنجبت من زوجها الجديد انجيلا ، وكان طبيعيا أن تركز الام معظم عواطفها وحنانها فى الطفلة الصغيرة ، ولكن كارولين لم تحتل هذا . ملأت الغيرة قلبها من أختها الطفلة ، فحاولت أن تقتلها بفضيب من الحديد . ضربتها على رأسها ، ولكن الضربة لم تقتل الطفلة وانما شوهت جانب وجهها وأفقدت إحدى عينيها النظر . فهل هناك أبشع من هذا ؟

— لا ، مطلقا

— حسنا . هذه هي كارولين ، انها تريد دائما أن تكون الاولى . وان الشيء الوحيد الذى لم تكن تطيقه أو تفهمه ، هو أن تتخلف عن غيرها . كان فى أعماق نفسها شيطان مريد ، الويل لمن يشهده . وبعد فترة من الصمت ، استطرد فيليب يقول :

— قد يبدو لك أنها ، بسبب هذا الحادث مع أختها ، امرأة متهورة ، مندفعه ، ولكنها فى الواقع شديدة المكر قادرة على التدبير والتأمر ، وبعد وفاة والديها ، جاءت للإقامة — وهى فتاة فى سن الزواج — فى قصر الدربرى مع ال كريل الذين يمتون اليها بصلات من القرابة البعيدة . وفى انثناء هذه الفترة التى أمضتها معهم قبل الزواج ، راحت تعجب أعوادنا جميعا ، نحن شسباب المنطقة ، ولم تفكر هى فى مجرد الزواج منى لأنى كنت يومذاك فقيرا بعد أن آلت الثروة الى أخى ميرديث . وكانت هى أيضا فقيرة ، ومن ثم رأت أن من المستحيل عليها أن تجمع بين فقرى وفقرها . ومن العجيب ، أو الطريف ، اننى الآن أوسع الجميع ، جميع زملائى وأقاربى ، ثراء ، حسنا ، وفكرت فى الزواج من ميرديث ، ولكنها لم تلبث أن ألقت بشباكها على أمياس كريل ، فقد كان المعروف أن أمياس هو الوارث الوحيد لقصر الدربرى والضيعة المحيطة به . وقد أدركت بذكائها أنه هناك موهوب ، وأن المال سيجرى بين يديه أنهارا بعد أن يدرك الناس حقيقة موهبته كرسام نابغ . وقد صدق حدسها ، وذاعت شهرة أمباس ، وجرى المال بين يديه ، وأصبح من أكبر الرسامين

فى عصره • هل رأيت لوحاته ؟ ان لدى واحدة منها • تعال وأنا
أفركك عليها

ثم تقدمه الى قاعة المائدة ، حيث أشار الى لوحة كبيرة معلقة على
الجدار الايسر ، وقال :

... هذه بريشة أمياس

ونظر بوارو فى صمت ودهشة • كانت اللوحة تصور اناء من
الازهار فوق متضدة من خشب الجوز اللامع • وكانت الازهار تبدو
متوصجة بالحياة والنضارة ، وكان الخشب المصقول اللامع يكاد يهتز
كلما أمعن الانسان النظر اليه • وتنهى بوارو وقال :

... نعم • ان لمسة العبقرية واضحة فى هذه اللوحة

وعاد فيليب بليك الى الشرفة التى كانا جالسين فيها ، حيث
غمغم قائلاً :

... اننى لا أفهم شيئاً عن الفن ، ولكنى اشعر ان رسوم كريل
تمتاز بشيء غامض مثير يجعل من يراها مرة لا ينساها أبداً
ثم اردف قائلاً بعد ان قدم الى ضيفه لفافة تبغ :

... حسناً هو العبقري الفنان الذى قتلته زوجته ، وهو فى
أوج الحياة والمجد والشهرة • ولعلك تعتقد اننى متحامل على
كارولين ، ربما ، ولكنى اؤكد لك ان هذا المرأة ، برغم جمالها
وجاذبيتها ، كانت الشر بعينه • كانت تجمع بين القسوة والطمع
والميل الغريزى الى الشر

... ولكننى سمعت يا مستر فيليب انها تحملت الشيء الكثير
من نزوات زوجها واستهتاره الدائم بالعلاقات الزوجية

... نعم ، كانت جسد حريصة على أن تجعل كل الناس يعتقدون
انها الضحية البريئة لخيانة زوجها • ولكن الحقيقة هى ان حياة
كريل الزوجية كانت سلسلة متصلة من المشاجرات والخصومات
والنازعات ، ولكن المسكين كان يفر من هذا الجحيم الى فنه • كان
يمش فيه ومن أجله • كان يتجاهل كارولين وشغفها ومضايقاتها
عندما ينهمك فى رسم لوحة جديدة • ويخيل الى انها كانت تستمد
السعادة من مشاجراتها مع زوجها ، فهى فى كل مشاجرة كانت تطلق
لسانها بالعبارات القاسية العنيفة ، وكانما تريد ان تفرغ فيه كل

ما نزرع به نفسها من سوء وفساد ، فإذا انتهت المشاجرة ، رايتها سعيدة مبتهجة ناعمة البال . ولكن هذا كله كان يثقل على كريل . فقد كان ، كفتان ، يحب الهدوء ، والحياة الراضية . اعتقد أنه أخطأ بالزواج . فان رجلا مثله كان ينبغي أن يعيش حرا من القيود الزوجية - هل كان يفضي اليك بمشاعبه ؟

- كان يعرف أنني صديق وفي مخلص منذ الصبا . ولكنه لم يكن يشكو ، وإنما يتفجر أحيانا بمثل هذه العبارة « اللعنة على جميع النساء » ، أو « حذار أن تتزوج يا صديقي ، فان الزواج هو جحيم هذه الدنيا »

- هل كنت تعرف علاقته بمس الزا جرير ؟

- نعم ، أخبرني ذات يوم أنه تعرف بفتاة مدهشة ، تختلف عن كل اللاتي تعرف بهن من قبل ، وقد سخرت في نفسى من حديثه هذا ، فقد كان يقول عن كل فتاة أو امرأة يتعرف بها أنها مدهشة وتختلف عن الجميع ، ثم لا يلبث أن يضيق بها ، ويهرب منها . ولكنى حين رايت الزا جرير في قصر الدربري ، أدركت أن الأمر ، في هذه المرة جد خطير ، فقد كان الواضح للجميع أن المسكين غارق في حبها إلى أذنيه ، وأن هذه اللعينة عرفت كيف تأسره

- كأنك لم تكن راضيا عن الزا أيضا !

- لا . لم أشعر بأى ميل نحوها . فقد كانت هي أيضا تريد أن تستحوذ عليه تماما ، أن تضعه في « القفص » ، أن تسيطر على جسمه وروحه معا ، ولكنى ، مع هذا ، كنت اعتقد أنها ستكون - كزوجة - أفضل من كارولين . على أنى في الواقع ، كنت أفضل لو أن كريل عاش بعيدا عن شباك النساء

- ولكن يبدو أنه كان مفتونا بهن

- نعم ، كان الإحمق لا يكاد ينجو من مغامرة عاطفية ، حتى يقع في أخرى ، ولكن يبدو أن المراتين اللتين كان لهما أكبر الأثر في حياته ، هما كارولين والزا جرير .

- وهل كان محبا لاخت زوجته ، أنجيلا ؟

- اعتقد هذا ، فقد كانت الفتاة دائما لطيفة مرحة ، ولكنها أحيانا كانت تنمادى في عيشها معه ، فيشتد عليها ، وعندئذ تتدخل

كارولين وتقف في صف اختها ضده ، وكان هذا الموقف من كارولين يزيد من غضبه على انجيلا ، بل ومن غيرته أيضا ، كان يعتقد أن زوجته تفضل اختها عليه ، وتوليها من الحب أكثر مما توليه ، وكانت انجيلا في الوقت نفسه تغار من امياس وتحاول أن تغفر دونه بقلب اختها . وقد قرر هو أن تذهب الى مدرسة داخلية في ذلك الخريف ، وأصر على تنفيذ قراره ، وثارت هي بشدة على هذا القرار : لا لأنها تكره الذهاب الى المدرسة ، وإنما للطريقة الاستبدادية التي اتخذ بها امياس هذا القرار . والواقع أنه ، من هذه الناحية ، كان على حق ، فقد تعودت انجيلا كلما غضبت منه أن تتماذى في معابثته ، وفي ذات مرة وضعت في سريرها عشر خنافس ، نعم ، لقد كان الاوان قد أن فعلا للاحاقها باحدى المدارس الثانوية

— وهل كان يحب ابنته الطفلة كارلا أشد الحب !

— اعتقد هذا .. كان يحبها ويدلها ويستمتع باللعب معها كلما شعر بالضيق أو الاكتئاب ، ولكن عاطفته نحوها ما كانت لتمنعه من الزواج بالزا ، اذا كان هذا هو قصدك من السؤال ، انه ، في رأيي ، لم يكن يحب ابنته هذا الحب الذي يجعله يضحى بسعادته الخاصة من أجلها

— وهل كانت كارولين متغلبة في حب ابنتها كارلا ؟

— لا أستطيع أن أقول انها لم تكن أما مثالية ، نعم ، لا أستطيع أن أزعم هذا . ولعل أشد ما ألمني في هذه المأساة هو موقف هذه الابنة المسكينة التي فقدت أمها وأبها في وقت واحد ، وفي مثل هذه الظروف ، لقد أرسلوا بها الى ابنة عم أبيها في كندا . وأنا أرجو أن يكونوا هناك قد اخفوا عنها هذه المأساة

فهز بوارو رأسه وقال :

— مثل هذه المآسي ، يا مستر بليك ، لا يمكن أن تظل خافية الى الأبد

— من يدري ؟

— حسنا يا مستر بليك . انني سألتصم منك شيئا أرجو أن تتحققه .. انني أرجو أن تكتب لي كل ما تعرفه أو تذكره عن تفاصيل هذه المأساة

— ولكننى يا مسيو بوارو لا أستطيع أن أتذكر التفاصيل بدقة ،
يعد كل هذه السنوات
— اعتقد أنك حين تبدأ فى الكتابة ، ستجد نفسك قد تذكرت كل
شيء تقريبا
— عجباً !
— هذه هى إحدى عجائب الذاكرة ، فأنك حين تشيرها ، تفتح لك
أبواب خزائنها وتطلق منها من الذكريات ما سوف تدهش له
— ولكن ، لماذا ؟ أليست سجلات البوليس الخاصة بهذه المأساة
تحت أمرك !
— نعم ، ولكننى أرجو أن أعرف بعض الحقائق الخاصة التى سوف
ترد فى كتابتك عن الحادث ، وأنا واثق أنه كانت هناك عبارات وتفاصيل
وأشياء كثيرة لم يرد لها ذكر فى تحريات البوليس أو أثناء المحاكمة .
على أساس أنها ليست بذات أهمية ، ولكنها ، فى الواقع ، قد تكون
بالغة الأهمية
— ولكننى رجل كثير الشواغل و ...
— اننى مستعد يامستر بليك أن ... أن أدفع الأجر المطلوب
— لا ... لا ، اننى اذا قررت الكتابة ، فسوف أكتب ذكرياتى
عن المأساة بدون مقابل ، بشرط ألا تنشر شيئا من أقوالى بغير إذن
منى
— اتعهد لك بهذا ، وأقدم لك جزيل الشكر



الفصل الرابع

الحبيب الهادئ

حرص هيركيول بوارو على أن يتزود بخطاب توصية من صديقه الليدى مارى ليتون الى المستر ميرديث بليك ، عندما ذهب لزيارته فى ضيعته هاندكروس وقد استقبله ميرديث فى أول الأمر بشيء من الارتباك والاضطراب . ولكنه ماكاد يطلع على خطاب الليدى مارى ، حتى استرد رباطة جأشه ، وراح يتبادل مع بوارو الحديث عن الليدى مارى ، وعن الصيد والقنص فى الريف ، وعن هواية سباق الارانب والكلاب . وقد بدا ميرديث بقامته الطويلة وحركته البطيئة ، وتحفظه فى الحديث ، انموذجا لاميان الاقاليم المحافظين ولما حدثه بوارو عن رغبة « دار النشر » فى الحصول على بعض المعلومات الخاصة من الاشخاص الاحياء الذين شهدوا مأساة الرسام امياس كريل ، قال ميرديث فى عنف وهو يحشو غليونه :
— اليس من الوحشية الادميسة نبش مثل هذه المآسى التى عفى عليها الزمن ؟

فهز بوارو كتفيه وقال :

— اننى اتفق معك فى هذا ، ولكنها رغبة القراء الذين يحبون هذا اللون من الاحداث الحقيقية الواقعية
— اننى مصر على أن هذا امر شائن
فقال بوارو فى صوت رقيق :

— نعم ، ولكننا ، فى هذا الكتاب ، سنحاول بقسدر الامكان ان نبين للقراء الظروف التى احاطت بالحادث وادب اليه ، وان كارلا كريل شديدة الاهتمام بهذا الامر وتمتدح أن مثل هذا الكتاب قد يخفف شعور الراى العام نحو امها

— اوه ، كارلا . . . كارلا الصغيرة . لا شك انها قد أصبحت الآن شابة

— نعم ، فان السنين تمر بسرعة غريبة أحيانا
فتنهذ ميرديث وقال :

— بأسرع مما يظن الانسان

— واهم من هذا كله ان كارلا تريد أيضا ان تعرف حقيقة الماساة من أقوال الذين كانوا موجودين عند وقوعها ، وذلك لأنها غير مطمئنة الى تحريات البوليس وأقوال بعض الشهود . انها تريد ان تعرف كل شيء عن أمها وأبيها من أولئك الذين كانوا اقرب الناس اليهما عند وقوع الماساة

— نعم ، نعم ، لا شك ان هذه المسكينة فجعت حين علمت اخيرا بماساة أبويها . ولا شك أن فجيعتها تضاعفت حين اطلمت على تفاصيل الماساة من سجلات البوليس الجافة الخالية من أية عاطفة وعندئذ أسرع بوارو قائلا :

— هذا تماما ما تريده كارلا ، وما نريده نحن . العواطف والمشاعر والانفعالات والتأثيرات التي كانت تتفاعل في جو الماساة قبيل وقوعها وصمت بوارو فجأة ، وبدأ ميرديث يتحدث في اهتمام . وقد أخذت اللكريات تتزاحم في ذهنه :

— لقد كان امياس صديقا لنا منذ الطفولة . . وكانت أسرته ترتبط بوشائج الجوار والصداقة مع أسرتي منذ أجيال عديدة ، ولكن . لا يسع الانسان الا ان يعترف بأن تصرفاته كانت . . . مخجلة ، مشيرة ولعل هذا يرجع الى مزاجه الفنى ، فانه يقال ان للفنانين أهواء ونزعات خاصة ، غير طبيعية . . ولكن لكل شيء حدودا . وما أظن أن هناك انسانا يحترم نفسه يرضى ان يأتى بعشيقتة الى بيت الزوجية ، ويواجه بها زوجته ، بل ويتحداها هكذا علنا امام الاصدقاء والجيران . — يسرنى ان اسمع منك هذا يا مستر بليك ، فالواقع انه لا يوجد انسان كريم مهذب يقبل مثل هذا الوضع ، او يخلق مثل هذا الموقف بين الزوجة والعشيقة

وتردد ميرديث برهة . ثم اذا وجهه يشرق بإبتسامة غامضة وهو يقول :

— نعم ، نعم . ولكن المهم في الموضوع هو ان امياس لم يكن انسانا عاديا او طبيعيا ، وانما كان رساما ... فنانا ، وكان فنه يحتل من حياته ومشاعره المقام الاول . اذكر انه كان احيانا يفضل الاستغراق في العمل في احدى اللوحات عن أية متعة أخرى من متع الحياة . وانا شخصا لا ازعم اني افهم شيئا عن مثل هذه الشئون الفنية . ولكنني استطيع القول ان امياس كان فنانا موهوبا حقا . هذه حقيقة يعترف بها الجميع الآن . واعتقد ان الدليل على اصالة موهبته انه لم يكن يهتم بأي شيء في الحياة عندما يكون مشغولا بالعمل في احدى اللوحات ، لم يكن يسمح لأي شيء ، ايا كان ، ان يقف بينه وبين اتمام اللوحة التي بين يديه . كان ، اثناء استغراقه في رسم لوحة جديدة ، كرجل يعيش في حلم ، في عالم آخر ليس له صلة بعالمنا هذا . حتى اذا فرغ منها او كاد ، بدا يلتقط خيوط الحياة العادية مرة أخرى

ونظر ميرديث في تساؤل الى برارز الذي هز رأسه موافقا ، وعندئذ استطرد يقول :

— ارى انك تدرك ما اعنى . حسنا ، لعل هذا يفسر شذوذ بعض تصرفاته ، ولا سيما هذا التصرف الذي جعله يجمع بين حبيبته وزوجته في مكان واحد . لقد كان يحب الزا جرير حقا ، وكان على استعداد لان يطلق زوجته ، ويحرم نفسه من ابنته ، ليتزوج بها . ولكنه كان قد بدا يرسمها هنا ، وهي جالسة على سور حديقة البحر ، وقد اراد ان يفرغ من رسم هذه اللوحة . ومن ثم لم يكن يهمه شيء . . او يمكن القول انه لم يكن شاعرا تماما بالموقف الحرج الناشئ عن وجود الحبيبة والزوجة تحت سقف بيت واحد . اعتقد ان هذا هو العذر الوحيد الذي يمكن ان يلتمسه الانسان لمثل هذا التصرف الشاذ

— وهل كانت كل منهما تدرك حقيقة شعوره من هذه الناحية !

— اعتقد ان الزا كانت مدركة هذه الحقيقة . والواقع انها كانت شديدة الإعجاب به كفنان ، فضلا عن حبها العميق له كرجل . ولعل هذا الإعجاب ، وهذا الحب ، كانا من الاسباب التي جعلتها تحتل حرج الموقف بشجاعة ، بل بجرأة تبلغ حد ... التهور

— وماذا عن كارولين ؟

— كارولين ؟ آء . لقد كنت دائما اشعر بالميل اليها . وقد داعبني الامل يوما بالزواج منها ، ولكن سرعان ما تلاشى هذا الامل . ومع ذلك فقد بقيت — اذا جاز لي أن أقول هذا — محبا لها ، واضعنا نفسي في خدمتها

وأما بوارو براسه في فهم وإدراك . لقد كان يعلم أن مثل هذا الرجل المحافظ اذا أحب ، فإنه يحب بشرف ، ويتفاني فيمن يحب الى حد التضحية دون انتظار لشكر أو جزاء وقال وهو يزن كلماته بعناية :

— اذن لاشك انك لم تكن راضيا عن تصرفات كريل معها !

— نعم ، وقد تحدثت معه بشأن هذه الفتاة الزا جرير — متى ؟

— في اليوم السابق على المأساة . لقد حضروا هنا جميعا لشرب الشاي ، ومن ثم انفردت بكريل وقلت له انه بهذا التصرف يسئ الى كل من كارولين والزا ، وانه اذا كان ينوى الزواج بالفتاة ، فليس هناك ما يدعو الى احراج كارولين وتحديها هكذا علنا ، فليست هناك زوجة تستطيع أن تحتل مثل هذا الموقف — وماذا كانت اجابته ؟

— قال ان على كارولين أن تحتل رغما عنها

— لا شك انها اجابة خالية من كل عطف واشفاق

— نعم ، ولهذا لم استطع أن اتمالك زمام امصابي ، فعنفته بشدة قائلا ان الواجب عليه أن يجنب زوجته هذا العذاب حتى لو لم يعد يحبها ، وأنه لو كان يحب الزا حقا لما عرضها لمثل هذا الموقف المحرج ، فما كان منه الا أن اجاب قائلا ان على الزا أيضا أن تحتل هذا الموقف رغبة غنها ، ثم استطرد في حديثه معي فقال ان هذه اللوحة التي يعمل بها هي خير انتاجه الفني كله ، وأنه لن يسمع لاية امرأة في الدنيا أن تحول بينه وبين اتمامها ، فقلت له ان الرسم ليس كل شيء في الدنيا فقاطمني قائلا انه ، بالنسبة اليه ، يعتبر كل شيء — فذكرت له أن كارولين تتعذب كثيرا بسبب نزواته وشذوذه تصرفاته وكثرة علاقاته مع النساء ، وان هذا لا يليق برجل يحترم نفسه ،

فقال لى انه يعرف هذه الحقيقة ، وانه جد آسف ، وانه يعرف أن زوجته تتعذب فى حياتها معه ، وانها ، بالنسبة اليه ، ملاك كريم ، ولكنه كان قد حذرهما قبل الزواج بأنه عاطفى ، و وزير نساء وبوهيمى المزاج . فقلت له ، مهما يكن الامر ، فلا ينبغي أن يحطم حياته الزوجية حرصا على مستقبل طفلهما - على الأقل - وكذلك بينت له بوضوح أن الزا فتاة طائشة ، وانه لا يجب الاعتماد على عواطفها فى مثل هذه السن ، ومن المحتمل جدا أن يندم كل منهما بعد الزواج ، وأن من الخير كل الخير أن يقطع علاقته بها ، ويعود الى زوجته وطفله - وماذا قال ؟

- نظر الى فى اضطراب وارتياب ، ثم ربت كفى وقال : «انك صديق طيب يا ميرديث ، ولكنك عاطفى أكثر مما ينبغي ، انتظر حتى أقرئ من الصورة وسوف ترى أننى على حق »
وتنهى ميرديث ثم أردف قائلا :

- لقد كنا جميعا نشعر بالاسى والالم فى ذلك الحين
- الا أمياس كريل ؟

- نعم . لانه كان انسانا لاتهمه غير مصالحة الخاصة . واذكر وضوح أنه اختتم حديثه معى بقوله : « اطمئن يا ميرديث - فسوف ينتهى كل شيء على خير »

- ان هذا دليل على انه من الناس المتفائلين بطبيعتهم
- انه من أولئك الذين لا يهتمون كثيرا بمشاعر النساء ، وقد ردت أن أقول له ان كارولين فى حالة يأس ، وأن المرأة حين تياس كون اشد خطرا من الوحش . . ولكنى كنت ادرك انه سيسخر منى وحدثته بهذا

- وهل حدثتك كارولين بالامها ؟

- حدثتنى تلميحا وفى كلمات قليلة ، ولكنى كنت ارى فى وجهها شساعب وفى نظرات عينيها ، امارات اليأس العميق . كانت تحدث وتضحك أكثر مما ينبغي ، ولكن الحزن العميق كان يطل وضوح من عينيها ، وبكاد يذيب أقسى القلوب وأغلظها . لشد ما كانت قبيحة وادعة

وبعد برهة من الصمت ، استطرد ميرديث فى حديثه وكانما

فتحت ذاكرته أبواب الذكريات على مصاريعها ، فانشأ يقول :
— كان ينبغي أن أرتاب في الأمر . فقد كانت كارولين هي التي
وجهت الحديث الى ... الى هوايتي في استخراج العقاقير من النباتات
الطبيسة ، وكانت النتيجة أني تحدثت الى الضيوف عن هذه
الهواية ، وعن بعض الخرافات الخاصة التي تحتم على الهوى أن
يلتقط بعض الاعشاب الطبية في ضوء القمر ، ثم تحولت في حديثي
الى نبات « الهملوك » المرقط Spotted Hemlock الذي يستخرج
منه مخدر الكونين السام

— هل كان حديثك هذا في غرفة العمل ؟

— نعم ، كنت اتحدث وأشرح حديثي بالإشارة الى مختلف
العقاقير والمركبات والمستخرجات ، وأذكر أني حدثتهم عن عقار
الفاليريان Valerian الذي تجذب رائحته القطط ، وتحدثت اليهم
عن طريقة استخراج البلاذونا والأترويين ... وقد بدأ الاهتمام على
وجوههم جميعا أثناء حديثي

— جميعا ؟

— نعم ... جميعا : فيليب ، وأمياس ، وكارولين ، وأنجيلا ،
والزا جرير ...

— ألم يكن هناك أحد آخر ؟ كالمرية مس ويليامز مثلا ؟
— لا ، لم تكن مس ويليامز معنا . انها مربية تعرف كيف
تؤدي واجباتها . واعتقد أن أنجيلا كانت تثير قلقها كثيرا
— لماذا ؟

— لأنها كانت مشغوفة بالعبث وتدبير « المقلب » ، والتماهى في
المداعبة الثقيلة ، فقد وضعت ذات يوم خنفساء في قفا أمياس وهو
منهمك في رسم لوحة هامة . وأذكر أنه ثار وأرعد وقرر أن يلحقها
بالمدرسة

— يلحقها بالمدرسة !

— لا لأنه كان يكرهها ، وإنما لأنها كانت تميل الى الشغب
والإتارة . واعتقد أنه أيضا كان يفار منها ومن مكانتها الرفيعة في
قلب كارولين ، زوجته . وكانت كارولين شديدة الحب والمطف
على أختها لأن ...

فقاطعه بوارو قائلا :

— لا، انها كانت السبب في تشويه جانب وجه الفتاة ، فأرادت ان تعوضها بالحب والحنان ؟

— آه .. اتعرف هذا ؟ حسنا . لقد كانت كارولين تشعر دائما بوخز الضمير لهذا السبب

— وهل كانت انجيلا حاقدة على أختها ؟

— لا لا ، مطلقا ، بل كانت تبادلها الحب والحنان دون أن تشير من قريب أو بعيد الى هذا الموضوع

— وهل كانت انجيلا راضية بفكرة الذهاب الى المدرسة

— لا ، بل ثارت في وجه أمياس وأرادت أن تتحدها ، ووقفت أختها بجانبها ، ولكن أمياس كان من الرجال الذين اذا قرروا أمرا فمن يرجعوا عنه أبدا . وهكذا لم يكن على انجيلا الا أن تخضع في النهاية لقراره

— ومتى تقرر الحاقها بالمدرسة ؟

— في ذلك الحريف الذي وقعت فيه المأساة . فانا أذكر أنهم كانوا يعدون حاجياتها ولوازم المدرسة، ولولا وقوع المأساة ، لذهبت اليها بعد أيام معدودة . فقد سمعت حديثا في الصباح عن ترحيلها بعد اعداد حقائبها

— وماذا كان رأى المربية المس ويليامز ؟ ألا يعنى الحاق انجيلا بالمدرسة ، تعطيلها هي عن العمل !

— نعم . ولكن هل بعقل أن تلجأ سيدة محترمة فاضلة الاخلاق مثل مس ويليامز الى ارتكاب جريمة قتل حتى لا تتعطل عن العمل ؟

— غير معقول طبعا ، وان كان بعض الناس يرتكبون أبشع الجرائم لآتفه الاسباب . حسنا يا مستر بليك ، وماذا كان رأى الزا في الموضوع كله ؟ ألم تشعر يوما بتأنيب الضمير وهي تعمل على تعظيم أسرة والزواج من رجل بعد أن تحرم منه زوجته وابنته !

— لا . أبدا . لقد تحدثت معها طويلا في هذا الشأن ، فضحكت وقالت ان الانسان يجب أن يبحث عن السعادة في الحياة وما دامت الحياة الزوجية بين كريل وزوجته قد أصبحت سلسلة

من المشاجرات والمنازعات ، فليس هناك أفضل من أن يتحرر كل
منهما من الآخر ، ورغم أنى لم أقتنع طبعا بمنطقها ، فانى لم أستطع
أن أقنمها بمغبة هذه المقامرة التى توشك على ركوبها بالزواج من
رجل يكبرها بعشرين عاما

وبعد برهة صمت ، قال بوارو :

... ألا لا زلت يا مستربليك هاويا لاستخراج العقاقير من الاعشاب
الطبية ؟

... لا لا ٧٠ لقد تفضت يدي تماما من هذه الهواية بعد المأساة
فأنا حتى اليوم لا زلت أشعر بانى لا أخلو من المسئولية غير المباشرة
فيما حدث

... هل وجدوا بصمات أصابع على زجاجة الكونين التى بقيت فى
معملك ؟

... نعم ، بصمات أصابع كارولين فقط

... وأصابعك أنت ؟

... لا ، لم أمسك الزجاجاة بيدي ، وإنما أشرت اليها فقط أثناء
حديثي . ولا شك أن آثار بصماتي القديمة عليها زالت بسبب
استعمال المنفضة يوميا لازالة الغبار عن الزجاجات ، وبهذه المناسبة
كنت أنا الذى أنظف الزجاجات . لم أكن أسمح للخدم بدخول
المعمل . كنت أحرص دائما على غلق بابي بالمفتاح

... ومتى اختلست كارولين كمية الكونين ؟

... ونحن فى طريق الخروج من المعمل ، فقد كانت هى آخر من
خرج ، وقد وقفت أنا بالباب أتحدث قليلا مع الزا جرير ، ثم ناديت
على كارولين حين رأيت أنها تأخرت فى الخروج ، فجاءت مضطربة
متوهجة الوجنتين ، متألقة العينين . يا الهى ! انى اكاد اراها الآن

... هل دارت بينك وبين كارولين محادثة بعد ظهر ذلك اليوم ،
أمنى محادثة بشأن الموقف الذى كان بينها وبين زوجها

... نعم ، ولكن فى كلمات قليلة . عندما رأيتها مضطربة النفس ،
قلت لها : « هل حدث شيء يا كارولين ؟ »

فقلت : « حدث كل شيء ، بل يمكنك أن تقول لقد انتهى كل
شيء . لقد انتهيت أنا يا ميرديث » ثم أرسلت ضحكة عصبية ،

وتحولت نحو الآخرين في ابتهاج مصطنع
 وصمتت ميرديث برهة ، قبل أن يستطرد قائلاً :
 — أؤكد لك يا مسميو بوارو أن كارولين كانت صديقة حين اعترفت
 انشاء المحاكمة بأنها اختلست كمية الكونين لتنتحر بها . نعم ، انها
 لم تفكر في قتل زوجها الا في اليوم التالي
 — هل انت واثق تماما أن كارولين هي القاتلة ؟
 — اذا لم تكن هي ، فمن يكون ؟ أم لعلك تعنى أن الحادث وقع
 قضاء وقدر ؟
 — ربما
 — هذا عجيب جدا
 — لماذا ؟ ألم تقل انت ، أن كارولين كانت دائما سيدة رقيقة لطيفة ،
 اى ملاك بالقياس الى زوجها ؟
 — نعم
 — فهل يمكن لمثل هذه السيدة أن ترتكب جريمة قتل عمد مع
 سبق الاصرار ؟
 — كان لكارولين ، رغم رقتها ولطفها ، لسان حاد لاذع تلهب به
 زوجها أحيانا عندما يتمادى في سوء سلوكه ، وكانت أحيانا تقول له :
 « أنتى اكرك ، لشد ما أتمنى أن اقتلك وامزق جسمك بيدي »
 او شيئا من هذا القبيل . واعتقد أن تصرفات كسريل الاخيرة
 وتحديه السافر لها قد أفقدها الصواب ، وجعلها تقدم على ارتكاب
 هذه الجريمة . ان التى ارتكبت هذه الجريمة ليست كارولين العاقلة
 اللطيفة ، وانما كارولين التى فقدت عقلها
 — إذن فانت لا توافق على نظرية انتحار كريل ؟
 — لا لا . ان كريل كان آخر انسان في الدنيا يفكر بمجرد تفكير —
 في الانتحار
 — كأنك في هذه الحالة جد واثق من ادانة كارولين
 — أعود فأقول اذا لم تكن هي ، فمن يكون ؟
 — اليس هناك احتمال — مجرد احتمال بسيط — في أن يكون
 القاتل شخصا آخر غيرها ؟

— انه احتمال مستبعد ، بل مستحيل . لقد كان فيليب من اخلص
اصدقائه ، وليس هناك أدنى سبب لارتكاب مثل هذه الجريمة ..
وأنا ! هل أبدو فى نظرك قاتلا ؟ حسنا - والزا هل يعقل أن تقتل
الشخص الذى كانت تحبه بكل ذرة من كياتها .. المعقول أن تقتل
كارولين ، وكذلك لا يعقل أن ترتكب صبية مثل انجيلا جريمة قتل .
وليس هناك أدنى سبب يدفع مربية محترمة مثل المس ويليامز الى
ارتكاب هذه الجريمة . وكذلك الخدم لم يكن لهم أى دخل فى
الموضوع كله

فقال بوارو بعد برهة صمت :

— هل يمكن يا مستر بليك أن تتكرم وتكتب كل ماتمرقه أو تذكره
عن هذه المأساة ، لقد وافق شقيقك المستر فيليب على كتسابه
ذكرياته بخصوص هذا الموضوع

— فيليب ؟ هل تحدثت معه فى هذا الشأن ؟

— نعم

— لا شك فى أنك لاحظت مبلغ تعامله على كارولين

— لقد أدهشنى هذا التعامل فعلا

— لقد كان معاديا لها دائما

— لماذا ؟

— لا أدرى ، كان شديد السخط عليها بمناسبة وبغير مناسبة .
واعتقد انه كان شديد الاستياء يوم تزوجت كسريل ، بل انه امتنع
عن الذهاب اليهما عقب الزواج عاما كاملا ، ومع ذلك فقد ظل امياس
اخلص اصدقائه . واعتقد ان هذا هو السبب . فقد كان يعتقد
ان امياس اعظم شأنًا منها ، وكان يخشى أن زواجه بها سيفسد
صداقتهما الرائعة

— وهل هذا ما حدث ؟

— لا ، فقد ظل امياس شديد الوفاء لفيليب الى آخر لحظة

— وماذا كان شعور أخيك بشأن موضوع الزا جرير ؟

— كان متناقض الشعور عن هذا الموضوع . كان ساخطا على
امياس لتعلقه بفتاة تصغره بعشرين عاما ، وكان فى الوقت نفسه ،

يشعر بالسرور الخفى لان كارولين سوف تنفصل فى النهاية عن
صديقه الوفى

قرفع بوارو حاجبيه فى دهشة وقال :

— احقا ؟

— هذا هو شعورى الخاص وان كنت غير واثق تماما

— وماذا كانت حالته بعد المأساة ؟

— كان شديد الحزن الى حد الانهيار . لقد كان فيليب يحب
امياس اشد الحب بل كان يراه مثلا اعلى . ولعل هذا هو الذى
جعله يرداد كرها لكارولين وسخطا عليها

وبعد برهة صمت . قال ميرديث فجأة :

— لقد انتهى كل شىء ، فلماذا كل هذا الحديث عن الماضى
وذكرياته المؤلمة ؟

— هذا هو ما ارادته كارولين كريل

— كارولين ؟ ! ماذا تعنى ؟

— لقد تركت لابنتها كارلا خطابا قصيرا ، وطلبت من المسئولين
الا يسلموه لها الا بعد بلوغها الحادية والعشرين ، فهل تعرف ماذا
كتبت فى هذا الخطاب ؟

— لا . . . طبعا

— اقسمت فيه لابنتها ، وهى على فراش الموت ، انها بريئة !

— هل . . . اقسمت كارولين . . . على هذا ؟

— نعم ، هل ادعشك هذا ؟

— جدا ، لو انك رايتها اثناء المحاكمة ، لما خالجت ادنى شك فى
ارتكابها للجريمة . فقد كانت شاحبة ، متهاكة ، مستسلمة لهجمات
ممثلى الاتهام ، معترفة بكل شىء تقريبا فيما عدا ارتكابها للجريمة ،
او فيما عدا وضعها السم فى الشراب لزوجها . لقد بدت لى يومذاك
الانموذج الكامل للزوجة التى قتلت — فى ساعة يأس — زوجها
الحبيب ، ثم ندمت ، وقررت ان تلحق به . . . اما الآن

— اما الآن ؟

— بعد ان اقسمت فى خطابها لابنتها على براءتها ، فقد بدأت اشك

بل بدأت اعتقد انها بريئة حقا ، فانا امرف تماما ان كارولين كانت من الاشخاص القليلين جدا الذين لا يعتمدون الى الكذب لاي سبب ، ولكن ...

وصمت ميرديث برهة ، وراح ينظر في ذهنه الى بوارو ثم قال :

— نعم ، ولكن اذا لم تكن هي ، فمن يكون ! اننى شخصا لا ارى اى احتمال آخر

ثم اردف قائلا في حدة لبوارو :

— وانت ... ما رأيك ؟

— انا لا راي لي . اننى الآن اجمع الحقائق فقط . اننى اريد ان امرف كيف كانت كارولين ، وامباس ، والاشخاص الذين شهدوا المأساة . اريد ان اظفر من كل واحد من هؤلاء الاشخاص برايه الخاص ، وبشعوره ، ويرد الفعل الذى تركته المأساة في نفسه ، وبذكرياته الخاصة عنها . . ومن هذا كله أستطيع ان اصل في النهاية الى الحقيقة

فقال ميرديث متحمسا :

— هذه فكرة صائبة . وانا متفق معك . ومن حسن الحظ انى احتفظ بمفكراتى القديمة ، ويمكننى ان اكتب لك ، اذا شئت ، تقريرا كاملا عما حدث في ذلك اليوم ، وفي اليوم السابق عليه . ولكن اسلوبى في الكتابة ليس كما ينبغي

— اوه ... اننى اريد الحقائق فقط ، اما الاسلوب فلا يهم . وبهذه المناسبة اعتقد ان قصر الليربرى قريب من هنا . فهل يمكن ان اذهب اليه وارى هذا المسرح الذى جرت عليه احداث المأساة !

— ممكن جدا ، ولكن كثيرا من التغييرات ادخلت عليه

— هل هدم واقيم من جديد ؟

— لا . اشترته احدى الجمعيات ، وجعلت منه مصيفا للشباب ، وملأت الغرف بالفواصل والمواجز لتكون مقصورات صغيرة للنوم

— ومن الذى باعه !

— الوصى على كارلا ، باعه وضم ثمنه الى اموالها التى ورثتها عن ابيها

- ألم ترث انجيلا شيئا ؟
- لا ، مطلقا ، ولكنها كانت وارثة من أبيها ثروة صغيرة
- آه . فهمت . حسنا . يمكنك يا مستر بليك ان تبين لى
الاماكن التى تناولها التغيير
- نعم . . . نعم . ومن حسن الحظ ان الممرات وحديقة البحر
لا تزال كما هى

وفيما هما يسيران ، قال بوارو حين رأى البحر امامه :
- الى اين نمضى ؟
- اننا نمضى الى خليج ضيق يمتد من البحر الى داخل اليابسة ،
وهذا الخليج يفصل بين ضيقتى وضيقه الدبرى . ونحن
سنمره الآن بالزورق فى خمس دقائق ، اما اذا سرنا حول نهاية
الخليج ، فاننا نصل بعد ساعة ونصف ساعة
ولما عبرا الخليج بزورق خاص ، أردف ميرديث قائلا :
- هذا هو الطريق الذى كنا نتبعه منذ القدم الا اذا قامت عاصفة
شديدة ، ففي هذه الحالة نستخدم الطريق البرى
وفي الجانب الآخر من الخليج ، شاهد بوارو مجموعة من «الكابينات»
المشيطة بالاسمنت ، والمخصصة للسباحة ، وقد أشار اليها ميرديث
قائلا :

- هذه كلها منشآت جديدة لم يكن لها وجود من قبل
وفيما هما يسيران صعدا فى ممر متعرج تحف به الاشجار ، أردف
ميرديث قائلا :

- من المحتمل ألا نلتقى بأحد هنا ، فاننا الآن فى شهر ابريل ،
ولم يبدأ موسم الاصطياف بعد . وحتى اذا التقينا بأحد ، فلا
خوف ، لانى على علاقة طيبة بجميع جيرانى
ولما بدأ الممر يدور حول سور حجرى ، أشار ميرديث اليه
وقال :

- هذا هو سور حديقة البحر . ونحن نسير حوله الآن فى
الطريق الصاعد الى القصر
وسارا مرة أخرى فى منعطفات الممر المحفوف بالاشجار حتى وصلا
الى باب حديقة البحر . وكان من الممكن ان يتجاوزاه ويواصلوا

لسير في الممر الى القصر ، ولكن ميرديث فتح الباب ، ودخل مع وارو الى حديقة مشمسة ، ساطعة الضوء ، تقسوم على هضبة تشرف على مياه البحر ، وكانت بها بعض الاشجار القليلة وأحواض ازهور . وقد قال بوارو وهو يمسخها بنظراته :

— مكان شامري جميل

وأشار ميرديث الى جوسق خشبي متهدم وقال :

— هنا كان أمياس يحتفظ بأدوات الرسم وبعض زجاجات البيرة والافداح . وكان ثمة مقعد مستطيل ، ومنضدة وحامل للرسم . ولا شيء غير هذا

— وهناك ... مات أمياس ؟ !

— نعم . على المقعد المستطيل الذي كان موضوعا بالقرب من جوسق أدوات الرسم . وكان من عادته أن يرقد فوق المقعد على وجهه ساعة أو أكثر أو أقل ، يفكر ، ويتأمل ، أو ربما يستوحى آلهة الفن ، ثم يقفز واقفا ويعمل بفرشاته كالمجنون في اللوحة . وهكذا ...

وصمت برهة قبل أن يردف قائلا :

— هذا هو السبب الذي جعله يبدو في نظري طبيعيا حين غادرت هذه الحديقة مع الزا الى طعام العشاء . لقد كنت جالسا في ذلك المكان المرتفع الذي تراه يشرف على الحديقة من ناحية القصر . فلما دق جرس الغداء ، نهضت ، وهبطت ، وكانت الزا أسبق مني الى الباب ، وكان أمياس متهاككا على المقعد يستريح ، وقد علمت من الزا أنه سييتم ليتم اللمسات الاخيرة من اللوحة . وكان هو ينظر اليها نظرات غريبة لم أفهم معناها في تلك اللحظات . ولكن لم يكن ثمة إشارات للآلم على وجهه . حمدا لله ، وانمسا كان . دون أن ندري ، في حالة شلل

— ومن الذي اكتشف وفاته ؟

— كارولين ... الزا وأنا كنا آخر من رآه حيا . على كل حال سوف اكتب لك تفاصيل ما حدث بدقة

— فارجلان صعودهما في الممر المتعرج حتى وصلا الى هضبة اخرى صغيرة تشرف على حديقة السطح وتظلها الاشجار ،

وقد قال ميرديث انها المكان الذى كان جالسا فيه ينظر الى اميئاس وهو مشغول برسم لوحة الزا

وبعد ان وصلا الى القصر وطافا بحجراته ، ووقفا برهة في شرفته الكبيرة ، عادا الى شاطئ الخليج عن طريق ممر آخر ، اطول ، حتى اذا بلغا ضيعة هاندكروس مرة اخرى ، قال ميرديث وهو يدخل ردهة بيته مع بوارو !

— لقد اشتريت تلك اللوحة طيعا . اللوحة التى مات اميئاس وهو يرسم اللمسات الاخيرة فيها . لم اشأ ان اجعلها تقع في ايدي جماعة من الفلاطل الحمقى الذين لن يروا فيها الا فتاة جميلة في سراويل قصيرة تكشف عن ساقها واعلى فخذيها ، وجزء كبير من صدرها . فهل تحب ان تراها ؟

فلما ارما بوارو برأسه ، مضى ميرديث به الى غرفة أدرك بوارو من النظرة الاولى انها غرفة العمل القديم . فقد كانت زاخسرة بالارلف والزجاجات القديمة الفارغة ، ومنضدة في الوسط ، ولما فتح ميرديث نافذتها ، انسباب اليها الضوء مع عطر نسائم الربيع

ووقف بوارو يستنشق رائحة ازهار الياسمين ، بينما قال ميرديث :

— هنا بالقرب من هذه النافذة كنت واقفا . يا الذكريات . . . كما اقف الآن اشم عطر الياسمين . وكنت احدهم — بحماسة — عن مفعول مختلف العقاقير التى استخرجها من النباتات الطبية ثم تحرك ميرديث الى الجدار المواجه للنافذة ، ورفع غطاء زائرا بالشباب من فوق لوحة فنية ، واذا بوارو ينظر في دهشة واعجاب الى صورة زيتية لفتاة جميلة في قميص مفتوح اصفر اللون ، وينظرون قصير أزرق اللون ، جالسة على سياج حجري من الحجارة القائمة ، ومن ورائها الافق الأزرق البعيد

ورغم ألوان الصورة الصارخة ، المتنافرة ، فقد أحس بوارو أنه أمام عمل فنى ينبى عن عبقرية خاصة وموهبة أصيلة . عمل يكاد ينبض بالحياة والشباب ، وبالحياة ، أما عينها ! فان بوارو شعر برعدة تسرى في جسمه وهو يتأمل وجه الفتاة المغمى بالمجاذبية والفتنة والتوثب



ورفع ميرديث لفظه وأخرا بالقبر من فوق لوحة فنية ، وإذا بوارو
يشغل في دهشة وأعجاب إلى صورة زيتية لفنسة جميلة . . .

وقال بوارو وهو يشير بيده الى اللوحة :

— انها ، حقا ، عمل فنى عظيم . . . عظيم جدا

وقال ميرديث بانفاس لاهثة :

— ولشد ما كانت متوثبة بالشباب والجمال !

— نعم بالشباب . . . الشباب الذى اجتمعت الآراء على أنه . . .

الشباب القوى الطائش ، القاسى ، العنيف

وفيما هو يفادر الغرفة مع ميرديث ، توقف برهة ، واستندار الى الصورة ، ورأى العينين تحدقان النظر فيه ، وشاهد فى نظرات العينين شيئا عجيبا ، مثيرا . وفهم بوارو هذا الشيء ، ولكن ترى كيف يكون الحال لو أنه اخطأ الفهم ؟ فهل ستصارحه صاحبة العينين ، وهى لم تزل على قيد الحياة ، وفى أوج الانونة ، بكل شيء !!

أم أن المرأة الحقيقية لا تعرف معنى النظرات التى كانت منبعثة من عينيها اثناء التصوير ؟ انها نظرات فتاة أحبت . . . أحبت بكل كيانها . . . بكل قطرة فى دماؤها . . . بكل خلجة من أعماق نفسها ، وانتعشت بالانتصار فى الحب ، ورات الدنيا كلها مختزلة فى وجه السيب ، ثم جاء الموت ، واختطف منها الحب ، والامل ، والسعادة ، وطذا ذلك النور المقدس من العينين ، وحل محله ، ياللهول !

ترى ما شكل عيني الزا جرير الآن !

وغادر بوارو الغرفة ، بعد أنلقى نظرة اخيرة

وقال لنفسه :

— لقد كانت متوثبة بالحياة الى حد . . . التحفز

ومرة اخرى سرت فى جسده رعدة خفيفة

الفصل الخامس

ذات العينين الحزينتين

كان كل شيء في قصر اللورد ديتشسام يتم عن الثراء والترف ، بل يتم عن الرغبة في اقتناء الأفضل والأثمن . وهناك ، في إحدى قاعات الاستقبال الفاخرة ، وقف بوارو أمام الليدي ديتشسام ، بعد أن أذنت له بالمقابلة ، حيث كانت بدورها واقفة بجانب مدفأة فاخرة

وكانت أول عبارة وردت بذهن بوارو ، وهو يرى الليدي ديتشسام ، أي الزا جرير ، هي : « لقد ماتت في شبابها ! »

لقد خامره الشك ، برهة ، في أن هذه السيدة ، هي نفسها الزا جرير ، التي شاهد مسورتها في غرفة معمل المستر ميرديث بليك .. لقد كانت الصورة لفتاة تنبض بالحياة والشباب الفائر التأثير .. أما هنا ، أما هذه السيدة ، فليس فيها من أمارات الشباب شيء . نعم أن الجمال موجود ، وموفور ، وناضج ، ولكن الشباب ، الحيوية ، البهجة ، الحماس ، اللهفة الشوق إلى المجهول . الأمل في الغد ، كل هذا لم يكن موجودا

ان بوارو يذكر في تلك اللحظة مأساة روميو وجولييت ، لقد ماتت جولييت لأنها لم تنطق بالبقاء بعد روميو ، أما الزا ، فأنهسا بقيت على قيد الحياة ... ميتة !

وكانت هي تتحدث بصوت رتيب ونان :

- تفضل بالجلوس يا ميسو بوارو ، وثق اننى مهتمة بالموضوع الذى أجله جئت

وقال هو لنفسه :

« لا ... انك كاذبة ، ان كل شيء يتم على انك لم تعودى تهتمين
بشيء ... أى شيء »

وبصوت مرتفع قال :

— اننى يا سيدتى مرتبك ، مرتبك جدا !

— لماذا ؟

— لانى أدرك ان الحديث عن الماضى ، عن هذه المأساة بالذات ، مؤلم
لك

فابتسمت وقالت :

— هذا لانتك تعتقد اننى سيدة مرهفة المشاعر ، والواقع اننى
أبعد الناس عن المشاعر المرهفة . اننى امرأة واقعية ، لا مجال
للخيال فى حياتى . لقد كان أبى كما تعلم صعبى طحان ، وظل
يجاهد فى الحياة حتى نجح وكون ثروة طائلة . والرجل العصامى ،
عادة ، لا يعرف شيئا اسمه الاحساسات المرهفة
وقال بوارو لنفسه :

« نعم ، صدقت فلو كنت مرهفة المشاعر ، لما جرؤت على
الذهاب الى قصر كريل والحياة مع زوجته تحت سقف واحد ،
وعادت هى تقول :

— ماذا تريد ان تعرف منى ؟

— هل انت واثقة يا سيدتى ان الحديث عن هذا الموضوع
لا يؤلمك ؟

وترددت برهة . وأدرك بوارو فجأة ، ان هذه السيدة الجالسة
معه ، صريحة بطبيعتها ولكنها قد تلجأ الى الكذب للضرورة وأخيرا
قالت :

— ان هذا الموضوع ، أعنى الحديث عنه ، لا يؤلمنى ، وانى أتمنى
لو انه يشير الى
— لماذا ؟

— لان من فسوة الحياة ان يعيش الانسان بدون مشاعر أو
احساسات

وعاد بوارو يؤكد لنفسه قائلا :

« نعم ان الزا جرير قد ماتت »

وقال بصوت واضح :

- على كل حال ان موقفك هذا ييسر مهمتى ، فشكرا
 - ماذا تريد ان تعرف ؟
 - اتتمتعين بذاكرة قوية يا سيدتى ؟
 - نعم
 - وواقفة تماما ان الحديث عن هذه المأساة لا يثير اشتجائك
 موالامك ؟
 - اؤكد لك اننى ، حتى اثناء المحاكمة ، لم اكن اشعر بالالام ، بل
 على العكس ، لقد استمتعت بها برغم سحق الجماهير على . لقد
 كان محامى الدفاع قاسيا على ، ولكنى عرفت كيف احاربه وانتصر
 عليه . نعم كانت ايام المحاكمة كلها مثيرة رائعة ، ولشدة ما تمنيت
 لو انها انتهت بصدر حكم الاعدام على كارولين
 ونظر يوارو الى يدى الزا ديتشام . يدان جيلتان ... ولكن
 باظافر طويلة معقوفة كالمخالب !
 وعادت هي تقول :
 - لعلك تظن اننى امرأة قاسية لا ارحم . نعم هذه هي الحقيقة .
 اننى لا اشعر بالرحمة لمن يسىء الى . ولقد اساءت تلك المرأة
 الى اساءة لا تفتفر ، اساءة حطمت حياتى كلها ، كانت تعلم ان
 امياس يحبنى ، وانا احبه بكل ذرة من كيانى ، واتنا سنتزوج حالما
 يتم طلاقه منها . ومع ذلك قتلته حتى لا اسعد بالحياة معه
 وشردت نظرائها وهى تردف قائلة :
 - فهل هناك اساءة اشد من هذه !
 - ألم تحاولى ان تلتصقى لها العذر ؟
 - لا ، مطلقا . اننى كما ذكرت امرأة واقعية ، اذا خسر الانسان
 المباراة ، فيجب ان يعترف بالهزيمة . واذا عجزت المرأة عن الاحتفاظ
 بزوجها ، فيجب ان تفرج عنه وتطلق سراحه . اننى لا افهم
 معنى احتفاظ امرأة بزواج لا يريد الحياة معها
 - لعلك كنت تفهمين هذا المعنى لو تزوجت به ؟
 - لا اظن ... اننا لم تكن ...
 ثم توقفت فجأة عن الحديث ، وابتسمت . وشعر يوارو بشئ
 من الخوف وهو يرى هذه الابتسامة الغامضة على شفيتها ، ولكنها
 اردفت قائلة :

- أحب أولا أن أبين لك بوضوح أن أمياس كريل لم يقع في حبائل
جاذبية فتاة بريئة صغيرة معجبة به . أنا التي أوقعت به في حبائلي
لقد التقيت به في حفلة ، وأحببته من أول نظرة ، وقررت أن أضع
نفسى ، ونفوسى ، وأعيش بجانبه كالجارية
- رغم أنه زوج ووالد !!

- نعم ، ولم لا ؟ لقد كان شقيا في حياته الزوجية ، فلماذا لا يسعد
بالحياة معى ، أن للإنسان في هذه الدنيا حياة واحدة فقط
- ولكن المعروف أنه ، رغم كل شيء ، كان سعيدا مع زوجته !
- لا لا . كانا يتشاجران دائما ، وكانت هى تطلق عليه لسانها
السليط كل يوم تقريبا . كانت زوجة لعينة . لعنها الله
ونفضت الزا ديتشام واقفة ، وأشعلت لفافة تبغ ، ثم قالت :
- قد أكون قاسية عليها ، ولكننى أمرب من شعورى نحوها ، وعن
كراهيتى لها وحقدى عليها
- لا شك أنها كانت مأساة عنيفة

- نعم . مأساة عنيفة ... قاسية ... رهيبة ... مأساة قتلتنى .
أماتتنى ... جعلت حياتى خواء ... خالية ... فارغة ..
ثم لوحت بيدها وأردفت قائلة :

- أصبحت كسمكة ميتة ... محشوة للزينة !

- الى هذا الحد كان أمياس كريل يهتك ؟

فأومأت برأسها إيماءة أكدت بها ليوارو أن أمياس كان ، بالنسبة
لها ، كل شيء في الحياة ، ثم قالت :
- انتهى يا مسيو بوارو امرأة عنيدة منذ طفولتى ، وقد كان من
الممكن أن أقتل نفسى بعد أمياس ، ولكننى لم أفعل ، فإن قتل
نفسى معناه الهزيمة أمام الحياة . وأنا لم أعود الاعتراف بالهزائم
- وبعد هذا ؟

- لا شيء . قررت أن أقاوم وأنظف على المسددة وأعيش .
ولم يعد الأمر بالنسبة الى الآن إلا ذكرى ... مجرد ذكرى
وبعد برهة من الصمت أودفت قائلة :

- انتهى لم أكن في يوم ما منافقة ، أو مراييسة ، وأنمسا أسير
على المثل الأسباني القائل : « خذ ما تريد وادفع الثمن ... هكذا
الحياة » . وأنا أفعل هذا . أحاول أن أظفر بكل ما أريد دون أن
أخشى من دفع الثمن

- ولكن في الحياة أشياء كثيرة لا تباع !
- نعم . ولهذا فانا لا اقصد بكلمة « الثمن » المال دائما ،
فإن الثمن يتوقف على طبيعة الشيء الذي تريده
- اننى انهم ما تعنين ، ولكن ، مع هذا ، فان لمة أشياء كثيرة
لا تباع بالمال أو بغير المال
- كلام فارغ
- وابتسم في رفق ، بينما اردفت هي قائلة :
- حدثنى عن هذا الكتاب الذى تنوى شركة النشر اصداره .
ما الغرض منه ؟
- اى غرض يمكن ان يكون أكثر من ربط أحداث الماضى بعشرات
الحاضر ؟
- ولكنك لست كاتباً ؟ !
- لا . ولكنى خبير بالكشف عن الجرائم
- هل تعنى انك مكلف بتحقيق هذه الجريمة ؟
- مكلف بالوصول الى الحقيقة ... أيا كانت
- ممن ؟ !
- من كارلا لامرسانت ؟
- من هى ؟ !
- انها ابنة كارولين واميباس كريل
- آه ... حقاً .. كانت لهما طفلة صغيرة عند وقوع المأساة ..
لاشك انها كبرت الآن
- نعم . انها الآن فى نحو العادية والمشرين ، طموحة ،
رشيقة ، رائحة الجمال . وامتقد انها قوية الشخصية موفورة
الشجاعة
- اننى اعنى ان اراها
- ولكنها قد لا تريد ان تراك
- لماذا ؟ آه ... فهمت ، ولكن من المحتمل انها لا تذكر شيئاً
مما حدث ، فانها لم تتجاوز يومئذ الخافسة أو السادسة من
عمرها
- انها تعرف ان امها حوكت بتهمة قتل أبيها

- ولا شك انها تعتقد اننى السبب المباشر فى كل ما حدث
 - محتمل ... أو مرجح ...
 فهزت الزا كتفيها وقالت :
 - يا للحصاة ؟ ان كارولين فى الواقع هى السبب ، فلو انها كانت
 واقعية فى تصرفاتها ...
 - اذن فانت لا تشعرين بأية مسئولية فيما حدث ؟
 - لماذا اشعر ؟ ليس هناك ما يدعونى للخجل .. مطلقا .. لقد
 احببته ، وكنت أريد أن أسعده .. اننى لا أدري كيف أجعلك تنظر
 الى الامر من زاويتي ، فلو أنك كنت تعلم حقيقة الجو المخطط
 بالمأساة ...
 فانحنى بوارو فى لهفة وقال بسرعة :
 - هذا ما أريد أن أعرفه ، فعلا ، وقد وعد المستر فيليب بليك
 بكتابة تقرير مفصل عن كل ما حدث ، وكذلك وعد المستر ميرديث
 بليك ، فاذا سمعت أنت ...
 فتنفست بعق وقالت باحتقار :
 - ان هذين الاخوين كانا دائما احمقين .. كان فيليب يخفى
 غرامه بكارولين تحت ستار من الكراهية ، وكان ميرديث يتمنى
 رضاها ، ولكنه انسان طيب ، ساذج .. أكبر ظنى أنك لن تظهر بشيء
 دى بال من تقريرهما
 وصمتت برهة قليل أن تقول فجأة :
 - هل تريد الحقيقة ، الحقيقة لذاتها ، لا للنشر والاثارة ؟
 - اننى لن أشر شيئا الا باذتك
 - لشد ما اهتم الى كتابة الحقيقة ، نعم ... الى شرح موقفى
 الحقيقى من هذه المأساة .. الى افهام الناس أن الحب ليس خطيئة ..
 وليس ذنبا .. وأن من حق كل انسان أن يحب .. وأن يتحرر من
 قيود الشقاء .. وأن يبحث عن السعادة .. نعم ازيد أن أكشف
 للناس حقيقة تلك المرأة التى فضلت الموت لزوجها على اطلاق حريته
 والتمعت عينا الزا فجأة ببريق غريب ، وأردفت قائلة :
 - قتلته .. قتلت أمياس .. أمياس الذى كان يريد أن يعيش ،
 وأن ينعم بالحياة ، لا ينبغي أن يكون المقدر أقوى من الحب فى هذه

الدنيا .. ولكن الحق أقول .. واتى لأحقد عليها ..
أكرمها .. أكرمها .. أكرمها !

ونفضت إليه ، وامسكت بكم سترته ، واستطردت تقول بصوت
كالفحيح :

— ينبغي أن تفهم .. نعم ينبغي أن تدرك تماما كيف كان الحب
بيننا — أنا وأمياس — لسوف أطلعك على شيء

واستدارت بسرعة ، وفتحت درجا صغيرا ، وتناولت منه خطابا
قدمته الى بوارو وهي تقول :

— اقرأ هذا .. اقرأ لكى تفهم مدى الحب الذى كان يربط بيننا

« الزا .. يا طفلى المدهشة العجيبة التى ليس لها مثيل فى
الدنيا .. اننى خائف .. اننى أكبر منك سنا .. رجل فى منتصف
العمر .. دموى المزاج .. متقلب الاهواء .. لا مبادئ له أو مثل
عليا .. لا تثقى فى .. لا تؤمنى بى .. اننى رجل شرير ، وإن كنت
فنانا نابغة .. ان أجمل وأعظم ما فى نفسى ، أسكبه فى فنى فقط ..
فلا تقولى يوما اننى لم أحذرك

« حسنا يا حبيبتى .. اننى ، برغم كل شيء ، سأظفر بك ..
اننى على استعداد ، كما تعلمين ، لمخالفة الشيطان من أجلك ، ومن
أجل رسم صورة لك تجعل عالم الفن يمسك بجنبيه من فرط الدهشة
والاعجاب .. اننى مجنون بك .. اننى لا أستطيع النوم ، ولا الطعام ..
الزا .. الزا .. الزا .. اننى ملك يمينك الى آخر العمر .. أمياس »
ورفع بوارو عينيه ونظر الى الزا ، وبدت له فى تلك اللحظة
متوهجة الوجنتين ، وكأنما عادت الى الوراء ستة عشر عاما .. وكأنما
لكلمات الخطاب رنين أجراس الحب فى أذنيها ..

الفصل السادس

مس وليامز تتحدث

قالت مس وليامز فى لهجة جادة حاسمة :

— هل تستطيع أن أسألك يا مسيو بوارو لماذا ؟

وكان بوارو قد صعد بعد عشاء الى الغرفة الوجيهة التى تقيم بها مس وليامز ، وكانت غرفة تنم عن رقة الحال . . . كانت مس وليامز جالسة أمامه ، على أريكة قديمة ، بوجهها المخفض ، اذ كانت قد بلغت الستين من عمرها ، وكانت تردد :

— انك تريد ذكرياتى عن مأساة أميلاس كريل وزوجته ، فهل لى أن أسأل لماذا ؟

وشعر بوارو أنه ، أمام هذه السيدة التى قضت حياتها فى تربية وتعليم الاطفال ، لا يستطيع أن يكذب ، وكأنما هو ، قد تحول فجأة ، الى طفل أمام مربيته الحازمة . ومن ثم لم يسسعه الا أن يذكر لها الحقيقة كاملة . وأنصتت هى اليه فى اهتمام ، ثم قالت أخيرا :

— كيف حال هذه الطفلة المسكينة الآن ؟ لا شك أنها كبرت واصبحت شابة !

— نعم . . . جميلة ، وقوية الشخصية ، وشجاعة القلب . ويمكننى القول ، انها أيضا قوية الارادة ، وهى مصرة على أن تصل الى الحقيقة بأى ثمن !

— هل تتمتع بمزاج فنى كإبيها

— لا أظن

— حسنا الله . . . اذن فهى أقرب الى أخلاق أمها من إبيها

— اعتقد هذا . . . ويمكنك أن تتأكدى من هذه الحقيقة اذا رأيتها

- اننى أحب أن أراها ، فقد اعتدت دائما أن أسعد برؤية الاطفال بعد أن يكبروا ويصبحوا رجالا ونساء ...

- من حسن حظها انها كانت طفلة صغيرة عند وقوع مأساة والدبها ..

- نعم .. مؤكدة .. لو انها كانت اكبر ، لتركت الصدمة فى نفسها اترا لا يمحوه الزمن ..

- بهذه المناسبة يا مس ويليامز .. هل استطيع أن أعرف رايك عن العلاقة الحميمية التى كانت بين كارول و ابنتها الطفلة كارلا .. هل كانت بالنسبة لها اما مثالية ؟

فصمتت مس ويليامز برهة ثم قالت .

- نعم الى حد ما .. كانت تهتم بها ، و لكنى بصحتها وتقوم على رعايتها كاحسن ما تكون الرعاية . ولكنها ، مع هذا ، كانت متفانية الى حد التضحية بالنفس فى حب زوجها أمياس .. لم أشهد فى حياتى زوجة أحب زوجها بمثل هذه القوة والتفانى .. كانت تعيش فيه . وبه ، ومن أجله .. واعتقد أن هذا يفسر الدافع الذى جعلها تقضى عليه حتى لا تراه بين ذراعى امرأة أخرى

فقال بوارو فى دهشة :

- هل تعين أنهما كانا أقرب الى عاشقين منهما الى زوجين ؟

- أعتقد هذا برغم المساجرات التى كانت تقوم بينهما

- وهل كان مخلصا لها كاخلاصها له ؟

- نعم .. ولكنه اخلاص كاخلاص الرجال !

وصمتت برهة ، وادرك بوارو من لهجة صوتها وهى تنطق بالكلمة الاخيرة مبلغ حقدما على الرجال عموما ، ومن ثم قال باسم فى رقة :

- يبدو أن لك رايًا خاصا فى الرجال ؟

فقالت بجفاء :

- ان الرجال هم الذين يحكمون هذا العالم .. وهم الذين يملأونه بالحروب والفساد والشر .. وأنا أرجو ألا يدوم هذا طويلا

ونظر بوارو اليها برهة متأملا ، ثم قرر أن يخرج بها من النظرة العامة الى الخاصة نحو الرجال ، فقال :

- كأنك لم تكونى تحبين أمياس كريل ؟

- نعم .. لم أكن أميل اليه أو أرضى بتصرفاته .. ولو كنت زوجته ، لما قبلت الحياة معه بأي ثمن ، فهناك أشياء لا يمكن للزوجة أن تحتملها

- ولكن مسز كريل كانت تحتملها

- نعم

- كانت كنت تعتقد أني مخطئة في هذا الاحتمال !

- نعم .. ينبغي على المرأة أن تحافظ على كرامتها ولا تخضع للاذلال المهين

- هل حدثت مسز كريل برأيك هذا أثناء إقامتك معها ؟

- طبعاً لا .. ولماذا أفعل ؟ لقد كنت مكلفة بالتدريس لانجيلا وارين ، لا لاسداء النصائح لهذا أو ذاك

- ولكنك كنت تحبينها !

- نعم .. أحبها أشد الحب .. ولشد ما حزنت عليها ولا أجلبها

- وتلميذتك ، انجيلا وارين ؟

- كانت فتاة عجيبة ، من أعجب الفتيات اللاتي درست لهن : عقل ذكي ، وشقاوة ، وسرعة غضب ، وجموح .. ولكنها ، مع هذا ، كانت لطيفة خفيفة الظل

تم سمعت برهة قبل أن تستطرد قائلة :

- وكنت أشعر دائماً أنها ستنتج في الحياة وتحوز شهرة واسعة ومركزاً رفيعاً ، وهذا ما حدث فعلاً .. هل قرأت آخر مؤلفاتها عن الصحراء المصرية ؟ .. وهل علمت أنها هي التي اكتشفت بعض مقابر الملوك في مديرية الميوس بمصر ؟ .. انني في الواقع شديدة الفخر بها .. حقاً انني لم أبق معها في الدبري غير عامين ، ولكنني أعتقد أنني استطعت توجيه عقلها وذهنها وآمالها في هذا الطريق .. طريق الكشف عن الآثار والاهتمام بالتاريخ

فقال بوارو :

- لقد علمت أنه كان قد تقرر إرسالها إلى المدرسة ، ولا شك أنك لم تكوني موافقة على مثل هذا القرار ؟

- لا .. لا .. بل بالعكس .. كنت من أشد المؤيدين لتنفيذها ..

ولسوف أخبرك لماذا .. فقد كانت انجيلا ، حين بدأت التدريس لها في سن الثالثة عشرة .. وهي سن خطرة مضطربة في حياة الفتيات .. وقد زادت حالة الاضطراب في خلال العامين اللذين أمضيتهما معها .. كانت ميالة بطبيعتها الى تدبير « المقالب » والتمادى في العبث والمداعبة ، وكانت تتناوبا حالات مفاجئة ، فهي حينها غاضبة نائرة ، وهي حينها حزينة منقبضة النفس بضعة أيام . ثم اذا هي تمود فتنتطلق ، وتتسلى الاشجار ، وتجرى هنا وهناك في الحديقة الواسعة ، غير حافلة بأوامر أحد . أو خاضعة لرغبات أحد ! ونوقفت مس ويليامز برهة قبل أن نستطرد قائلة :

— .. وعندما تبلغ الفتاة مثل هذه المرحلة ، فإن المدرسه خير علاج لها .. لاسيما اذا كانت البيئه المنزلية غير مناسبة لها .. فقد كانت مسز كارولين تسرف في تدليلها والدفاع عن أخطائها .. وكانت النتيجة أن أصبحت انجيلا ترى من حقها أن تكون لها الاولوية دائما في اهتمام أختها وعواطفها .. ورفض كريل بطبيعة الحال ، هذا الوضع .. فما من رجل يرضى أن تضعه زوجته في المكان الثاني بعد أختها .. وحدث الاحتكاك المنتظر بين كريل وانجيلا .. فكان ينسد في تعنيفها أحيانا ، وكانت ترد عليه العنف بأشد منه ، بل كانت كنتقم منه أحيانا بوسائل صبيانية ثقيلة ، كان تضع الحنافس في فراشه أو ملابسه ، أو شيئا مرا في شرايه .. وكانت آخر دعاية ثقيلة أن وضعت عشر خنافس في فراشه ، وكان هو يشتمز من هذه الحشرة أشد الاشمزاز .. وقد ثار بطبيعة الحال وأقسم أن يلحقها بمدرسة داخلية .. وثارت هي ، بدورها ، على هذا القرار .. ولكنني تعاونت مع أختها على اقناعها ، وهكذا تقرر أن تلتحق بمدرسة هولتون .. وهي مدرسة جميلة تقع في الشاطئ الجنوبي .. ولكن انجيلا ، مع هذا ، ظلت ساخطة ، وكذلك شعرت كارولين بالحزن لحرمانها من رعاية أختها .. ومما زاد الامر سوءا تلك الحالة التي طرأت على العلاقة الزوجية بين مستر ومسز كريل

— اتقصدين ظهور الزا جرير على مسرح حياتهما !

— نعم

— ما رأيك فيها

— كانت فناء جريئة وقحة ليس لها مبادئ سامية

- لقد كانت صغيرة ٠٠٠ طائشة ؟
 - لا ٠٠ كانت فى السن التى تجعلها تفهم وتذكر ما يضر وما
 ينفع ، اننى لا الشمس لها أى عذر
 - ولكنه الحب يا مس ويليامز
 - الحب ؟ هل يمكن للانسان أن يعتذر عن سوء سلوكه وشذوذه
 تصرفاته بالحب ؟ وهل يليق بفتاة أن تحب رجلا متزوجا ٠٠ وأن
 تقبل الحياة معه فى بيت الزوجية ؟ وأن تتحدى زوجته علنا بقولها
 انها ستأخذ منها زوجها ؟ ان هذا ليس حبا ٠٠ وانما سوء تربية ٠٠
 - لا شك أن موت أمياس كريل كان صدمة رهيبة لها !
 - نعم ٠٠ بكل تأكيد ٠٠ ولكنها هى المسئولة عن موته ٠٠ اننى
 أتمس العذر كل العذر لمسز كريل ، فأنا نفسى ، كنت أشعر أحيانا
 بالرغبة فى قتل المبستر كريل وحببيته الوقحة ٠٠ اننى لم أر فى
 حياتى رجلا يتمادى فى تحديه لمشاعر زوجته المحبة له ، الى هذا
 الحد ٠٠ ان الموت هو أقل جزاء لمثل هذا الرجل ٠٠ وقد نال أمياس
 جزاءه العادل
 - كانتك تشعرين بقدسية العلاقة الزوجية ؟
 فنظرت اليه برهة ، ثم قالت بقوة :
 - نعم ٠٠ ليس فى الحياة ما هو أقدس من الرابطة الزوجية ٠٠
 ان الاستهانة بها جريمة لا تغتفر لاسيما اذا كانت الزوجة متفانية
 - مثل كارولين - فى حب زوجها ٠٠ وقد استهان كريل بقدسية
 الرابطة الزوجية الى حد لم يسبق له مثيل ٠٠
 - أنا معك فى هذا ٠٠ ولكنه كان فنانا موهوبا ٠٠
 نعم ٠٠ نعم ٠٠ هذا هو العذر الوحيد الذى كان اصداقاؤه
 يحاولون به تبرير أعماله ٠٠ ولكننى شخصيا اعتقد أن الفن الاصيل
 يسمو بالفنان الى مراتب السمو والكمال والخلق الكريم ٠٠
 وبعد برهة من الصمت ، قال بوارو فجأة :
 - لقد كنت مع مسز كريل عندما اكتشفت موت زوجها !
 - نعم ٠٠ لقد غادرت معها القصر بعد طعام الغداء ٠٠ كانت هى
 فى طريقها الى زوجها لتري اذا كان فى حاجة الى شئ ، وكنت أنا
 فى طريقى الى الشاطئ لابحث عن صديريه صوف لانجيلا التى كانت

متعودة على افعال بعض ملابسها الخارجية فى كل مكان .. وافترقنا عند باب حديقة البحر .. ولكنى ما أن سرت بضغ خطوات حتى سمعت صيحة مسز كريل ، فعدت اليها بسرعة ، حيث رأيت المستر كريل راقدًا على المقعد المستطيل بجانب حامل الرسم ميتا .. ميتا منذ ساعة على الأقل

— هل كانت شديدة الاضطراب عند اكتشافها لموت زوجها ؟

— ماذا تعنى بهذا السؤال ؟

— اننى أريد أن أعرف شعورك الخاص عن هذا الموقف

— آه .. فهمت .. أعتقد أنها كانت فى حالة ذهول .. ولكنها طلبت منى أن أسرع لاستدعاء طبيب .. فنحن لم تكن طبعا ، واثقين تماما من موته .. أو ليس لنا الحق فى هذه الثقة ..

— وهل ذهبت واستدعيت الطبيب تليفونيا ؟

— لا .. وإنما التقيت فى الممر بالمستر ميرديث بليك ، فكلفته بالقيام بهذه المهمة ، ثم أسرع عائدة الى مسز كريل .. فقد خشيت أن تسقط مغشيا عليها ..

— وهل وجدتها فى هذه الحالة فعلا ؟

— لا .. كانت ثابتة .. هادئة تقريبا .. أثبت واحدا بكثير من الزا جرير التى كانت ، حين بلغها النبا ، فى حالة عصبية رهيبية حتى كادت أن تقتل كارولين لو أتاحت لها الفرصة

— هل معنى هذا أنها أدركت فوراً أن كارولين هى قاتلة زوجها ؟ ففكرت مس ويليامز برهة ثم قالت :

— لا أظن أنها كانت واثقة تماما أن كارولين سميت زوجها ، ولكنها ارتابت فى هذا فورا ، وكانت تصرخ فى عصبية رهيبية قائلة : « كل هذا بسبب تصرفاتك يا كارولين ، لقد قتلتى ، والذنب كله عليك » .. ولكنها لم تقل بصريح العبارة : « لقد سمعته »

— وماذا كان شعور مسز كريل ؟

— الواقع اننى لا أستطيع أن أحدد شعورها تماما فى تلك اللحظات ، هل كان القزع الذى سيطر عليها أم الحزن أم النسم

— هل بدا عليها شيء من هذا ؟

— لا أدري تماما ، أنها كانت أقرب الى الذهول منها الى أى شيء

آخر

- حسنا .. وماذا كان رأيها فى مقتل زوجها ؟
- كانت تعتقد ، كما ذكرت باصرار فى المحاكمة ، أنه انتحر
- هل ذكرت لك هذا حين تحدثت معك على انفراد ؟
- نعم .. حاولت أن تقنعنى بأنه انتحر ..
- وماذا كان رأيك أنت ؟
- هل من المهم أن تعرف رأيي يا مسيو بوارو ؟
- نعم اذا سمحت ..
- لقد حاولت أن أوافقها على هذا الرأي ..
- معنى هذا أنك لم تكونى موافقة مطلقا ..
- نعم .. لم أكن معتقدة أنه مات منتحرا .. ولكنى ، فى الوقت نفسه ، كنت أثناء المحاكمة ، فى جانب مسز كريل ضد الاتهام ..
- كنت تتمنى أن يحكم ببراءتها ؟
- نعم .. من صميم قلبى
- كانت مقدرة شعور ابناتها فى محاولتها البحث عن الحقيقة ؟
- نعم كل التقدير
- أليك - اذن - مانع فى كتابة ذكرياتك عن المأساة فى دقة وتفصيل بقدر الامكان ؟
- وهل ستقرا كارلا هذا التقرير ..
- نعم بالتأكيد
- حسنا .. اننى لا أمانع .. ولكن .. هل هى مصرة كل الاصرار على أن تصل الى حقيقة موقف أمها من هذه الجريمة ، مهما تكن مرارة هذه الحقيقة ؟
- نعم .. بلا شك !
- اننى متفقة معك فى هذا .. فخير للانسان أن يستريح الى معرفة الحقيقة بدلا من محاولة خداع نفسه بالالوهام .. واعتقد أن كارلا حين تعرف الحقيقة كلها سوف تنسى الموضوع كله على مر الايام ..
- ولكنها فى الوقت نفسه تأمل أن تثبت الحقيقة براءة أمها ..
- يا لها من مسكينة - ان الحقيقة ستثبت عكس ما ترجو وتأمل
- أوافقك أنت من ادانة مسز كريل الى هذا الحد ؟
- نعم .. بالتأكيد

— وما رأيك اذا علمت أن مسز كريل تركت لابنتها خطابا أقسمت فيه ، وهي على فراش الموت أنها بريئة ؟
— لقد أخطأت جدا في هذا القسم ان مسز كريل دائما شجاعة ، وصادقة ، وميالة للخير .. وكان الاجدر بها أن تعترف بحقيقة جرمها لابنتها .. فليس ينبغي أن يكون للمواطن مجال في ساعة الموت ..
— إذن فأنت واثقة تماما أنها كاذبة في هذا القسم على براءتها ؟
— كل الثقة ..
— ومع ذلك تقولين انك وقفت بجانبها ضد الاتهام وانك كنت تحبينها ؟
— نعم .. كنت أحبها ، ولكن هذا لا يمنع من القول بأنى واثقة تماما من اذانة مسز كريل لانى رأيت بعينى ما يثبت الجريمة عليها. ولكنى لم أذكر هذا اثناء المحاكمة ، لان أحدا لم يسألنى فى هذه النقطة



الفصل السابع

انجيلا وارين

كان مسكن انجيلا وارين يشرف على حسيديقة ريجنت بارك الفاخرة ، وكان الهواء في ذلك اليوم من ايام الربيع ينساب من النافذة الى جوانب المسكن ، رقيقا ناعما منعشا يثير في النفس الشعور بجو الريف ، لولا ذلك الضجيج الرهيب لحركة المرور بالشارع

واستدار بوارو عن النافذة حين سمع وقع اقدام انجيلا في الغرفة ولم تكن اول مرة يرى فيها انجيلا ، فقد سبق ان استمع الى محاضرة لها في قاعة الجمعية الجغرافية ، وكان قد اعجب بها امجبا لا حد له . كانت بارعة في الالتقاء ، رائعة في التعبير ، ثابتة الاعصاب ، غزيرة العلم ، لا تتردد ، ولا تكرر نفسها ، ولا تمجز عن الاجابة الصحيحة عن كل سؤال خاص بالموضوع بعد انتهاء المحاضرة

ولم ير ، اثناء المحاضرة ، الجانب المشوه من وجهها . اما الان وهو يراها من كتب ، فقد لاحظ اثر الجرح العميق الممتد من طرف عينيها اليسرى الى نهاية خدها . ولم تكن العين مفلقة ، وانما كانت ، في الظاهر ، تبدو سليمة رغم فقدانها قوة البصر تماما وقد خطر لبوارو ، وهو يرى انجيلا بقامتها الطويلة ، ووجهها الباسم ، وجبينها المريض المشع بالعلم والذكاء ، انها الشخصية الوحيدة التي نجحت تماما في الحياة من بين الشخصيات الخمسة التي شهدت المأساة . لقد نجح فيليب بليك حقا في جمع المال . ولكن جمع المال لذاته لا يعتبر نجاحا في الحياة ، اما ميرديث فقد ظل ، كما كان ، جامدا ، لا يتطور مع الزمن ، وكانا كان يعيش في العصور الماضية . وبدأت الزا جرير حياتها بالجمال والشباب

والمال والحب ، وكان كل شيء يبشر بأنها ستكون من أسعد الناس في الحياة ، فإذا بها ، عقب المأساة ، تغدو من أكثر الناس شقاء . نعم ، فليس هناك من هو أشقى من الإنسان الميت الحى !

أما مس ويليامز ، فقد عاشت ، كمعظم الذين يحملون العلم والمعرفة الى عقول التسلايمد ، تعطى في الحياة ولا تأخذ . وقد أخذت منها الحياة كل شيء ، ولم تعطها شيئا

أما انجيلا ، فقد عرفت ، رغم تشوه جانب وجهها ، كيف تنظر بذكاؤها وشجاعتهما وجهها للمغامرة من الحياة بكل شيء : بالمال ، والشهرة ، والمجد ، والسعادة

ولم يكن الثمن غير هذا الاثر المشوه لجانب وجهها ولكنها كما بدت لبوارو في تلك اللحظة ، لم تكن تشعر بهذا التشويه لطول ما ألقته

وأدرك بوارو أيضا أن انجيلا ليست من النوع الذى يحتاج معه الإنسان الى ألف والدوران في الحديث ليصل الى غرضه ، ومن ثم تحدث معها بصراحة عن زيارة كارلا لامرثانت له . وعندئذ أضاء وجه انجيلا بابتسامة عذبة ، وهى تقول :
... آه ، كارلا الصغيرة ! أهى هنا ؟ أود أن أراها . فما أشد شوقى اليها !

... ألم يكن بينكما اتصال بريدى خلال هذه الاعوام الطوال ؟
... اتصال بسيط جدا . فقد كنت ، بعد المأساة ، في مدرسة داخلية خارج البلاد ، وكانت هى في كندا ، ولم نبادل الا بعض الهدايا البسيطة في اعياد رأس السنة ، وكنت أعتقد أنها ستبقى دائما في كندا . فانى لا أجد أى سبب يدعوها الى العودة هنا فقال بوارو :

... نعم . فقد كانت في جو جديد ، وفي بيئة جديدة ، وتحمل اسما جديدا . ولكن يبدو أن المسألة بالنسبة لها لم تكن في مثل هذه السهولة !

ثم راح يحدثها عن خطبة كارلا للشباب الذى يبادلها الحب ، وعن رغبتها فى الوصول الى الحقيقة عن مأساة والديها ، وعن إيمانها العميق ببراءة أمها . وعندئذ قالت انجيلا بحماس :

... اننى اتمنى لها من صميم قلبى ان تنجح فى هذه المهمة .
ويسرنى ان اقدم فى هذا السبيل كل مساعدة ممكنة
... اذن فانت تعتقد ان هناك احتمالا فى اثبات براءة مسـ
كربل

... اننى شخصا اومن تماما ان كارولين لم ترتكب هذه الجريمة
هذا هو رايى منذ اللحظة الاولى
فصمهم بوارو قائلا :

... انك تدهشينى بهذا الاعتراف يامس وارين ، فان الجميع
يعتقدون غير هذا !

... ان لهم العذر ، فقد كانت الادلة كلها ضد اختى ، ولكنى اعرف
عن يقين ان كارولين لم يكن فى مقدورها ان ترتكب اية جريمة
قتل

... هل يمكن لاي انسان ، ان يثق ثقة تامة بان اى انسان آخر
منزه عن ارتكاب جريمة قتل ، مهما تكن الظروف والاحوال
... لا يمكن طبعا فى بعض الحالات ، وانا اتفق معك على ان الحيوان
الادنى كفيل بارتكاب اية جريمة فى بعض الظروف الخاصة . اما
فى حالة كارولين ، فان لدى من الاسباب ما يجعلنى اومن بانها
آخر من يرتكب جريمة قتل . وانا اقدر هذه الاسباب اكثر من اى
شخص آخر

ثم لمست اثر الجرح العميق على خدها واردفـت قائلة :

... اترى هذا ؟ لعلك قد عرفت كيف حدث ؟

ولما اوما بوارو براسه ، اردفت قائلة :

... ان هذا من صنع كارولين ، وهو ايضا السبب الذى يجعلنى

اومن بانها لا يمكن ان ترتكب جريمة قتل

... ان بعض الناس يرون انه ، فى الواقع ، الدليل الذى يثبت

استعدادها لارتكاب مثل هذه الجريمة

... ولكن الحقيقة هي العكس ، او ينبغي ان تكون العكس .

حقا ان مثل الاتهام اتخذ من هذه الاصابة دليلا على تهور كارولين

وعنف طباعها . ان الناس يظنون ان الفتاة التى كادت تقتل اختها

الطفلة بدافع الغيرة ، لا تتردد فى قتل زوجها لهذا الدافع نفسه

ولكن لو حاول هؤلاء ان يحسنوا التفكير لعرفوا ان العكس هو

الصحيح

وغمغم بوارو قائلا :

— هذا فضلا عن ان الانسان المتهور السريع الغضب ، لا يلجا الى السم في ارتكاب جريمته . ان القتل بالسم يحتاج الى تفكير وتدبير وثبات اعصاب . اما المتهور العنيف فانه يحاول القتل باى شئ يقع تحت يده

فلوحت انجيلا بيدها ، وقالت :

— ليس هذا ما اعنيه وان كان لا يعدو الواقع . وانما اعنى شيئا آخر . وسأحاول أن أوضحه لك . لنفرض أنك انسان عادى ولكنك شديد الغيرة كما هو الحال مع الكثيرين ، ولنفرض أنك فى سن الطيش والمراهقة والعجز عن السيطرة التامة على المشاعر والامصاب ، وأوشكت أن ترتكب جريمة قتل اخ صغير أو اخت . اذن فكر فى الصدمة الرهيبة ، وفى الفزع ، وفى الندم الذى يملأ نفسك بعد ذلك . ان مثل هذه المشاعر ، الفزع والندم ، لا يمكن ان تزول من نفس فتاة مرهفة الاحساس مثل كارولين ، مهما مرت الايام ، وأنا لا أزعم انى كنت متأكدة من مشاعرها هذه فى تلك الايام ، ولكنى وأنا أذكر معاملتها لى بعد اصابتي ، أدرك الآن حقيقة الفزع والندم والالام الذى كان يستبد بها . ان هذا الحادث ، حادث اصابتي على يديها ظل يؤرق نومها ، ويشغل عليها ، ويلون تصرفاتها بلون خاص . انه يفسر موقفها بعد ذلك منى ، وشدة حبها لى ، وفرط عطفها على ، ومبلغ تعلقها بى . كانت تريد أن تفوضنى عن اصابتي بكل شئ . ولو بحياتها اذا استطاعت ، وكانت معظم مشاجراتها مع زوجها بسببى ، وكنت أشعر بالغيرة منه ، وأدبر له « مقال » صبيانية سخيفة ، وأذكر انى اختلست يوما مادة تجذب رائحتها القطط ، ووضعتها فى كأس شرابه ، وكذلك وضعت مرة اخرى بعض الحشرات المنفرة فى فراشه . . ومع ذلك كانت كارولين تقف دائما بجانبى

وتوقفت من وارين برهة قبل أن تستطرد قائلة :

— ولم يكن هذا من صالحى فى شئ بطبيعة الحال ، فقد كان هذا الاسراف فى تدليلى كفيلا بان يفسد اخلاقى ، ولكن هذا كله خارج عن موضوعنا ، فنحن نتحدث الآن عن كارولين ، وأريد ان اقول ان النتيجة التى ترتبت على تهورها فى اصابتي ، هى شعور دائم فى أعماق نفسها يجعلها تحذر من ارتكاب عمل آخر مماثل . كانت

كارولين دائما تراقب نفسها بنفسها . كانت في فرع مستمر من أن يتكرر هذا الحادث بصورة أو بأخرى . وقد لجأت في مراقبة نفسها الى وسائلها الخاصة ، ومن هذه الوسائل استعمال العبارات العنيفة القاسية في أثناء غضبها من شيء . فكلنا نعرف أن مثل هذا الانطلاق في الالفاظ القاسية ، هو عادة صمام الامن الذي يهدى من ثورة الغضب المشتعل ، ويحول الرغبة في التحطيم الى مجرد كلمات لا تضر ولا تنفع . لقد أدركت هي ، بالتجربة ، جدوى هذه الوسيلة . أدركت أن العبارات العنيفة التي تطلقها أثناء الغضب . هي صمام الامن لطبيعتها المندفعة المتهورة ، وهذا هو السبب الذي كان يجعلها تقول لزوجها ساعة الغضب مثل هذه العبارات : « سامزك اربا ، واضع لحكمك في زيت مقلّى » أو « اذا تماديت في اغضابي فسوف أقتلك حتما » وكانت سريعة الغضب كثيرة الشجاره وكانت ترى في شجارها تخفيفا عن طبيعتها العنيفة المندفعة ولهذا كثيرا ما كانت تقع بينها وبين امياس مشادات عجيبة واحيانا طريقة

— نعم ، قيل لى انهما كانا يتشاجران كالقطعة والكلب
— تماما ، ولكن الشيء الذي لم يفهمه الناس عنهما هو انهما كانا يستمتعان بهذه المشاجرات . نعم ، اننى اذكر هذه الحقيقة كان كل منهما يوجه اثناء الغضب الى الآخر اعتف واقسى العبارات ، ولكن هذا كله لم يكن ليؤثر على الشعور الحقيقى الذي يكنه كل منهما لصاحبه . بعض الأزواج يحبون الحياة الرتيبة المسالمة ، ولكن امياس ، كفنان ، لم يكن يحب هذه الحياة الرتيبة ، كان يشيرها ضجة صاخبة حامية اذا فقد مثلا زرار قميصه وكانت هي تكيل له الصاع صاعين ، ثم لا يلبثان أن يهدأ ويتصافيا كأنما أزعج كل منهما عن كاهله عبثا ثقيلًا أو أفرغ عن نفسه شيئا محبوسا

ولوحث انجيلا بيدها في ضيق وأردفت قائلة :
— لو انهم لم يبعدونى عن جو المحاكمة ، لذكرت هذه الحقيقة امام القضاة

ثم هزت كتفها وعادت تقول :
— ولكنى اعتقد انهم ما كانوا ليصدقوننى . كما انه لم يكن في مقدورى يومذاك أن اوضح للمسؤولين حقيقة الموقف بين الزوجين

كما افهمه الآن . . . هل تفهم ما اعنى ؟
- تمام الفهم ، وليكن ماذا كان شعورك الخاص في ذلك الحين
يا مس وارين ؟
فتنهلت انجيلا وقالت :

- اعتقد ان شعورى يومذاك كان مزيجا من الحيرة والمعجز ،
كنت في شبه حطم مزيج عجيب ، وانا ارى كارولين مقبوضا عليها
بعد ثلاثة ايام من الحادث ، واذكر انى اعلنتها ثورة سببانية جاسحة
على الجميع ، ولكن كارولين نصحتنى بالتزام السكينة والهدوء ،
وطلبت من المسئولين الا يزجوا بى في هذا الامر ، فذهبت الى اسرة
صديقة في الريف ، ولما تقرر عدم الحاجة الى سماع شهادتى ، تمت
الترتيبات لترحيلى الى مدرسة داخلية في الخارج : في ميونيخ . وقد
رفضت الذهاب في اول الامر ، ولكن الجميع اقنعونى ان هذه هى
ارادة كارولين ، وان الواجب على ، في مثل هذه الظروف ، ان اعاونها
بالطاعة ، فذهبت . وبعد ثلاثة اشهر علمت بمنطوق الحكم الذى
صدر عليها . ولما حاولت زيارتها ، رفضت في اصرار . . . ولست
اذكرى لماذا

- لانها ارادت ان تجنبك الالام النفسية ، حين ترى اختك
الحبيبة في ملابس السجن
- ربما

ونهضت انجيلا وارين واقفة ، ثم استطردت تقول :
- بعد صدور الحكم باعدامها ، اى قبل تخفيفه الى السجن المؤبد
ارسلت اختى الى خطابا خاصا لم اطلع عليه احدا ، ولكنى اعتقد
انه لا مانع من ان اطلعك عليه الآن . فانك بعد ان تقرأه ، ستعرف
اى نوع من النساء كانت كارولين ، ويمكنك ، اذا اردت ، ان تأخذ
لتطلع عليه كارلا

وغادرت الغرفة ، ثم لم تلبث ان عادت ومعها خطاب وصورة
شمسية . ثم قالت :

- هذه صورتها ، انراها صورة قاتلة ؟
ونظر يوارو الى الصورة باعمان ، الى الوجه البضاوى واللامع
الرقيق ، والعيون الهادئتين . انه وجه امرأة غير واقعة من
نفسها . امرأة قوية العاطفة ، ذات جمال خفى ، ولكن تنقصها
قوة الشخصية والحيوية اللتين تتمتع بهما ابنتها . تنقصها هذه

الروح المرحة المشغوفة بالحياة ومباهجها التي ورثتها كارلا عن
أبيها

وقالت أنجيلا :

— أما وقد رايت صورتها ، فاقرا خطابها

وبسط بوارو الخطاب برفق وراح يقرأ :

« حبيبتي أنجيلا الصغيرة

« سوف تسمعين أخبارا سيئة ستحزنك ، ولكنني أريد أن أؤكد
لك أن كل شيء معي كما ينبغي ، أنني لم أكذب عليك يوما ، وأنا
الآن لست أكذب عليك إذا قلت لك أنني في الواقع سعيدة ، وأنني
أشعر بأحاسيس عميقة بالسكينة والسلام والعدالة ، لم أشعر به من
قبل . تأكدي يا حبيبتي أنني لست حزينة ، ولا بائسة ، ولاندامة
على شيء ، فلا تحاولي أن تعودى بذاكرتك إلى الماضي ، فتشعري
بالحزن والأسى من أجل . انظري إلى الامام ، اهتمي بحياتك
واطلبي النجاح ، وأنا أعرف أنك قادرة على النجاح ، وعلى الانتصار
أما أنا ، فسوف أعود إلى أمياس ، ولست أشك في أننا سنبقى
معاً ، وما كان في مقدوري أن أستمر في هذه الحياة الدنيا بدونك .
أنني أرجو منك شيئاً واحداً ، وهو أن تكوني سعيدة . وقد قلت
لك أنني الآن سعيدة ، فإن على الإنسان أن يدفع الثمن ، وأن يشعر
في النهاية بالسكينة والسلام »

وبعد أن قرأ بوارو الخطاب مرتين أعاده إلى أنجيلا قائلاً :

— إنه خطاب جميل رائع يا آنسة . خطاب مذهش عجيب

— لقد كانت كارولين حقاً شخصية عجيبة مذهشة

— وهل أدركت أن هذا الخطاب يدل على براءتها ؟

— نعم . بلا شك

— ولكنها لم تذكر هذا بصراحة

— لأن كارولين لم يخطر ببالها يوماً أنها مذنبه

— ربما . ربما . ولكن يمكن من جهة أخرى أن يدل هذا

الخطاب على أنها أذنبت ، ودفعت الثمن . وأصبحت في حالة نفسية
هادئة

فقالت أنجيلا :

— لا . أنني واثقة تماماً من براءتها

— الله يعلم أنني أتمنى أن تكون ثقتك في محطها ، ولكن إذا لم

تكن اختك هي المذنبة ، فماذا حدث حقا ؟

فأومات برأسها وقالت :

— هذه هي المشكلة ، واعتقد ان التعليل الوحيد هو ان امياس مات منتحرا

— ولكن ، هل تعتقد ان ... في قرارة نفسك ... ان امياس من الاشخاص الذين يحلون مشاكلهم بالانتحار ؟

— انه في رأي آخر من يفعل هذا ، ولكن لكل قاعدة شواذ ، فلعل الشخص الذي يبدو للجميع انه محصن ضد الانتحار ، هو اول من ينتحر في ساعة يأس . اننا في الواقع لانعرف عن حقائق النفس البشرية الا القشور

— اليس هناك اى احتمال آخر في رأيك ؟

فصمتت انجيلا برهة ، ثم قالت :

— اننى افهم ماذا تعنى ، ولكننى في الواقع لم افكر من قبل في اى احتمال آخر . انك تعنى ان شخصا آخر قتل امياس ، قتله عن عمد وسبق اصرار وبعد تدبير محكم

— اليس هذا محتملا ؟

— ان الاحتمال في هذه الحالة يكاد يتساوى مع احتمال انتحاره

— اذن ، لنبحث هذا الاحتمال ، ونحاول ان نعرف اى الاشخاص الخمسة هو اقرب الجميع الى هذا الاحتمال

فصمتت انجيلا برهة اخرى ، ثم قالت :

— حسنا . دعنى افكر . اننى شخصا لم اقتله . ولم تقتله الزا على وجه اليقين ، فقد كادت تفقد عقلها حين علمت بموته ، فمن يتبقى ؟ ميرديث بليك ! ١٠٠٠ لقد كانت دائما كالقطة الاليفة الهادئة ، حقا انه كان يحب كارولين في صمت ، وان هذا الحب يصلح ان يكون باعثا للقتل ، ولكن ، على هذا الفرض ، لماذا يقتل امياس وهو يعلم انه سيطلق كارولين وسيسيرزوج الزا ؟ هذا عدا ان ميرديث ليس بالرجل الذى يلجأ الى القتل لتحقيق اهدافه . فمن يتبقى بعد ذلك ؟

— فيليب بليك ، ومس ويليامز

فصمتت انجيلا برهة ، ثم قالت :

— كانت مس ويليامز شديدة الحب لاختى ، ولم تكن راضية يوما من تصرفات امياس ، ولكن هل يكفى هذا الحب للزوجة ، وهذا

التفور من الزوج ليكونا سببا يدفع سيدة ذات مبادئ واخلاقاً
كريمة الى ارتكاب جريمة قتل ؟

— أنا شخصياً لا أعتقد هذا

— لم يبق اذن غير فيليب بليك . وما دمنا نتحدث عن الاحتمالات
فأنا أرى أن احتمال ارتكابه للجريمة هو اقرب هذه الاحتمالات كلها
الى الصواب !

— لقد أثرت فضولى جسداً يا مس وارين . هل يمكن أن أعرف

لماذا ؟

— اننى لا أعرف شيئاً محدداً عنه ، ولكنى أعتقد مما أذكره ،
انه شخص محدود الخيال ، ضيق الافق . ومثل هذا الشخص
قد يلجأ الى اقصى الوسائل لتحقيق أغراضه .

— وهل كانت لفيليب أغراض خاصة ؟

— اننى لا أدري على وجه التحديد ، ولكن الانسان أحياناً يذكر
أشياء تعيد الى ذاكرته فجأة أشياء مماثلة . فقد حدث وأنا أقيم
في فندق على ساحل الريفيرا انى رأيت سيدة تخرج في منتصف
الليل من غرفة شاب أعزب لا يمت اليها بصلة قرابة . وقد فوجئت
هى برؤيتى لها . وكانت على وجهها امارات عجيبة . امارات المرأة
التي ضبظت وهى تغادر خلصة غرفة عشيقها . وقد ذكرنى هذا
الموقف بموقف آخر رأيته فى صغرى دون أن أفهم يومذاك معناه ،
ولكننى فهمت هذا المعنى أخيراً

— أى موقف تعين ؟

فقلت انجیلا :

— موقف اختى كارولين وهى تخرج فى سكون الليل من غرفة
فيليب بليك أثناء اقامته فى قصر آلدربرى . اننى لم أفهم يومذاك
معنى خروجها من غرفته فى مثل هذه الساعة ، ولكننى فهمته بعد أن
رأيت نفس الامارات التى ارتسمت على وجه سيدة الفندقي فى
ساحل الريفيرا ، امارات وجه المرأة الخارجة من غرفة عشيقها

— ولكن هذا عجيب يا مس وارين ، لقد فهمت من حديث فيليب

انه كان يكره اختك اشد الكراهية

— نعم ، أعرف ، ولكن هذا ما حدث !

الفصل الثامن

قصة العدو والعاشق

كتب فيليب بليك ما يل عن مأساة أمياس كريل وزوجته :
كانت صداقتي لامياس كريل ترجع الى عهد الطفولة . . فقد كان
بيت أسرتي قريبا من بيت أسرته في الريف . . وكان أمياس أكبر
منا مني بعامين . . وكثيرا ما لعبنا معا ، وقضينا الاجازات المدرسية
معا رغم اننا لم تكن في مدرسة واحدة . . واستطيع أن أقول وأنا جد
مطمئن الى هذا القول : « ان ما أعرفه عن اخلاق كريل وطباعه يجعثنى
أستبعد تماما كل ادعاء بأنه مات منتحرا » ، لقد كان أشد الناس حيا
للحياة ، واستمتعا بها ، واقبالا عليها . . كان موفور الشباب والجمال
والقوة ، وكان في طريق المجد والشهرة والثراء . . فلماذا ينتحر ؟
أينتحر لانه شعر بتأنيب الضمير بسبب معاملته لزوجته ؟! ان هذا
الأمر يشير السخرية والضحك . .

أما زوجته كارولين ، فقد كنت أعرفها منذ صباها . . منذ ان كانت
تأتي للإقامة مع أقاربها من أسرة كريل . . وكانت يومذاك ، فتاة مندفعة ،
متهورة ، لا تتحكم في أعصابها ، ورغم جمالها وجاذبيتها ، فقد كانت
من الفتيات اللاتي يصعب على الانسان أن يعيش سعيدا بالزواج من
أحدهن . .

وقد ألفت شباكما قورا حول أمياس ، ولم يكن هو في أول الامر
ميلا اليها ، ولكنه لم يلبث ، بعد ان ألفها ، وخرج معها بمفرده كثيرا ،
أن تعلق بها ، فتمت خطبتهما . . وشعر أصدقاء أمياس المخلصون بالقلق
لهذا الزواج . . لانه كان من الواضح أن كارولين ليست بالزوجة
الصالحة لامياس . .

وكان هذا هو السبب في وجود شيء من التفور بين كارولين

وأصدقاء أمياس المخلصين في السنوات الأولى من الزواج .. ولم يكن أمياس بالإنسان الذي يتخلى عن أصدقائه ، بسهولة ، لأي سبب .. وهكذا لم تلبث العلاقة الوطيدة والصداقة الأكيدة أن عادت كما كانت بيني وبينه .. وبدأت أتردد على قصر الدربري ، وقد جعلني هو أشبهنا - والدا روحيا - لابنته كارلا .. ولعل هذا هو الدليل الأكيد على مدى صداقتنا الرائعة ..

ونعود الى المأساة ، فأقول : اننى دعيت للإقامة ضيفا في قصر صديقي كريل بالدربري قبل وقوع الحادث بخمسة أيام « هكذا جاء في مفكرتى » أى في اليوم الثالث عشر من شهر سبتمبر . وقد شعرت منذ اللحظة الأولى بتوتر الجو بين أمياس وكارولين .. فقد كانت مس الزا جرير تقيم أيضا في القصر .. وكان أمياس مشغولا برسم صورة زيتية لها ..

وكانت تلك أول مرة أرى فيها مس جرير بعد أن سمعت عنها من أمياس .. وقد تبينت من الوهلة الأولى أن صديقي غارق الى أذنيه في حب الفتاة ، وأنها تكاد تلتهمه بعينيها من فرط الحب كلما رآته .. وكان الواضح أنها هي التى أوقعت أمياس في شراكها برغم فارق السن بينهما ، وبرغم ثرائها الواسع

أما كارولين فكانت غيورا بطبيعة الحال كالعتاد ، وكانت غيرتها الشديدة هي السبب الذى يدفع أمياس الى القاء نفسه بين الحين والآخر فى أحضان هذه المرأة أو تلك

والهم أن الجو كان شديد التوتر . وأذكر أن أمياس قال لى حين رآنى : « حمدا لله أن جئت يا صديقى ، ان الحياة بين أربع نساء تكفى لان ترسل بالإنسان الى مستشفى المجاذيب »

وكان يقصد زوجته ، والزا جرير ، والمربية مس ويليامز، وأنجيلا وارين ..

والواقع أن الجو كان مضطربا حقا .. فقد كانت كارولين توشك على الانفجار من فرط الغيرة ، وكانت فى الوقت نفسه تعامل الزا بطريقة مهذبة ، ولكنها قاطمة كالسيف .. أما الزا فكانت أكثر صراحة وخشونة فى معاملتها لكارولين .. كانت واثقة من نفسها ومن الحب المتبادل بينها وبين كريل .. وكانت تعرف أنها دخيلة ، وأنها منغلقة ببقائها فى القصر ، وأنها ستحطم حياة زوجية ، ولكنها

لم تكن مهتمة بشيء من هذا .. لم يكن لديها من التربية المالية ، أو الحساب الرفيع ، أو المبادئ المثالية ما يوقفها عند حدها .. كان همهها كله أن تسعد ولو على حساب الآخرين .. وكان أمياس يقضى معها معظم أوقاته ، أثناء رسم اللوحة ، وفي فترات الفراغ .. أما علاقته بانجيلا وارين فكانت تضطرب بين الصفاء ، والمبث الصبياني والمداعبات ، ثم المشاجرات وتبادل الالفاظ الحادة .. ثم عودة الصفاء وهكذا ، حتى قرر في النهاية إلحاقها بمدرسة داخلية .. وأما المس ويليامز ، فكان يقول لى عنها : « هذه المرأة الحيزيون تكرهنى كما تكره الموت .. انها تجلس دائما مزمومة الشسفتين ، تنظر الى باحتقار شديد ، كانى حشرة خبيثة ، هذه اللعينة عدوة الرجال ، .. ثم أردف قائلا : « اللعنة على النساء جميعا ، اذا أراد الرجل أن ينعم بالسكينة والسلام ، فيجب أن يعيش بعيدا عنهن » .. فقلت له : « ما كان ينبغي لك أن تتزوج .. فانت بطبيعتك آخر من يصلح للحياة الزوجية .. »

فقال ان الحديث فى هذا الموضوع جاء بعد اوانه ، وان كارولين سوف تمتشط بالخلاص منه . وكانت تلك أول مرة أدرك فيها أنه ينوى الانفصال عنها ، فقلت له :

«اذن فان علاقتك بهذه الفتاة الحسنة الزا جادة كل الجدة المرة ؟»
فجهم قائلا : « انها حسنة ! اليس كذلك ؟ اننى أحيانا أتمنى لو أتى لم أرها .. »

فقلت له جادا : « اسمع يا صديقى ، ينبغي عليك أن تتحكم فى عواطفك ، وأن تكف عن هذه العلاقات المستمرة بالنساء »
فنظر الى ضاحكا وقال :

« من السهل عليك أن تتحدث وتنصح ، ولكن ليس من السهل على أن أبتعد عن النساء ، وحتى لو ابتعدت أنا ، فانهن لن يتركننى وشائى »

ثم هز كتفيه وقال :

« على كل حال سوف ينتهى كل شيء على خير ، وستكون .

الصورة من أروع أعمال »

وظلت حالة التوتر قائمة حتى بلغت ذروتها فى ظهر اليوم السابع

عشر من سبتمبر .. أى قبل المأساة بيوم .. كنا جميعا نتناول طعام الغداء ، وكانت الزا توجه الحديث الضاحك العابت الى أمياس فقط ، وكاننا غير موجودين معها ، وكانت كارولين توجه الينا حديثها الناعم الملقوف الذى تبسدر كلماته عادية ، ولكنها تقطع كالسكين وهي تتحدث بطريقة غير مباشرة عن « استهتار » بعض الفتيات، وعن « الاصل الحقيقى » الذى يلون تصرفات صاحبه بالشر والسوء ..

وانتقلنا بعد طعام الغداء الى قاعة الاستقبال ، وهناك أعربت عن إعجابى بتحفة جميلة من خشب الزان المحفور المصقول ، لقالت كارولين بهدوء :

« انها صناعة مثال نرويجى شاب، وقد أعجبت أنا وأمياس ببراعته . واعتقد أننا سنزوره حين نقضى جانبنا من فصل الصيف الأتى فى النرويج »

وكان هدوء حديثها وما ينم عليه من ثقة تامة ببقائها مع أمياس ، أكثر مما تطيق الزا التى ما كانت لتقبل أن تهزم فى أية محادثة ، ومن ثم قالت بعد فترة صمت :

« يمكن أن تبدو هذه الغرفة أجمل بكثير لو أخليناها من بعض الأشياء السمجة التى لا معنى لها .. واعتقد اننى حين أقيم هنا ، سأزيل منها كل السخافات والنفايات ، وسأضع على النوافذ أستارا فى لون النحاس ، فاذا انعكست عليها أشعة شمس الاصيل ، بدت فى لون الذهب .. فما رأيك يا مستر فيليب بليك ؟ »

وقبل أن أجيب ، قالت كارولين بصوت ناعم ، ولكنه احد من السيف :

« هل تنوين شراء هذا القصر يا الزا ؟ »

فقالت الزا : « ليس من الضرورى أن أشتريه لكى أقيم فيه »
فقالت كارولين بصوت لا أثر فيه للرقبة هذه المرة : « اذن ماذا تعنيه ؟ »

فضحكت الزا بوقاحة وقالت : « هل من الضرورى يا كارولين أن نتظاهر بالغباء ؟ أنت تعرفين تماما ما أعنى »
« واذا كنت لا أعرف ؟ »

« لا تكونى كالنماعة التى تخفى رأسها فى الرمال ؟ أنت تعرفين

جيدا أننى أتبادل الحب مع أمياس ، وليس هذا قصرك ، وإنما قصره .
وبعد أن يتم زواجنا سأعيش فيه »

« يبدو أنك مجنونة يا الزا »

« لا يا عزيزتى ، اننى عاقلة جدا ، ويحسن بك أن تعترفى بالواقع ،
وتحررى أمياس من قيد الزواج بك »

« اننى لا أصدق كلمة واحدة مما تقولين ... »

وفى تلك اللحظة ، دخل أمياس الغرفة ، فقالت لها الزا :

« إذا كنت لا تصدقين ، فهذا هو أمياس ... اسأليه ... »

فقالت كارولين لامياس :

« أمياس ، الزا تزعم أنك ستتزوج بها ، فهل هذا صحيح ؟ »

فاضطرب أمياس المسكين ، وبدأ كالسمكة فى الشبكة ، ثم التفت
الى الزا وقال بعنف :

« ما معنى هذا بحق الشيطان ؟ ألا تعرفين كيف تمسكين

لسانك ؟ »

فقالت له كارولين : « اذن فالامر صحيح ؟ »

فقال وهو يزداد اضطرابا : « اننى لا أريد أن أناقش هذا الموضوع
الآن »

فقالت كارولين : « ولكننى أريد مناقشته فورا »

فتدخلت الزا فى الحديث ، قائلة : « أعتقد يا أمياس أن من حق
كارولين أن تعرف الحقيقة »

فقالت كارولين بهدوء : « احقا هذا يا أمياس »

ولما ازداد اضطراب أمياس وشعوره بحرج الموقف ، أردفت هى
قائلة :

« أرجو منك أن تصارحنى ، فمن حقى أن أعرف »

فقال فى صوت الانسان الذى لا يجد مفرًا من الاعتراف بالحقيقة :

« نعم ، ان ما تقوله الزا صحيح ، ولكننى لا أريد أن أناقش الامر
... الآن »

ثم غادر الغرفة ، وغادرتها أنا ورائه ، لانى أبيت أن أبقي فى ذلك

الجو المضطرب مع المراتين ، وفي الشرفة، سمعته يسب ويلعن بعنف
ثم قال لي :

« لماذا لم تمسك هذه اللعينة لسانها وتكتم السر حتى أفرغ ، على
الأقل ، من رسم اللوحة ؟ انها اللوحة يا فيليب هي التي تعنى
الآن .. انها أروع إنتاج فني .. انني لن أسمح لامرأتين غيورتين
أن تحرماني من اتسامها »

ثم هذا فجأة ، وقال : « ان النساء عموما حمقاوات ، لا يفهم
شيئا » فقلت له بأسا :

« ولكنك أنت الذي جلبت على نفسك هذا كله يا صديقي »
« انني أعرف .. ولكن يجب أن تعترف أن أي انسان كليل
بالوقوع في غرامها اذا سمحت له هذه الشيطان الحسنة ، بل ان علي
كارولين أيضا أن تلتصق لي العذر »
« ولكن ، لا تنس واجبك يا أمياس نحو ابنتك الطفلة »
فأمسك بذراعي وقال :

« انا أعرف أنك تريد لي الخير يا فيليب ، فأرجو أن تخفف من
تأنيبك لي ، انني أعرف كيف أسوى أموري في النهاية ، وثق أن كل
شيء سينتهي على خير »

هكذا كان أمياس .. متفائلا دائما .. مبتهجا أبدا
ولا أذكر هل تبادلنا حديثا آخر أم لا .. ولكنني أذكر أن كارولين
أقبلت الى الشرفة وهي أتم ما تكون هدوءا وثباتا ، وقالت لأمياس
بصوت عادي :

« هلم استعد للذهاب الى ميرديث ، لا تنس انه دعانا لشرب
الشاي في بيته بعد ظهر اليوم »

فنظر اليها أمياس دهشا ثم قال متلعثا :

« نعم .. نعم .. لقد نسيت .. ولكننا سنذهب طيبا .. »
ولما غادر أمياس الشرفة لارتداء ملابس الخروج ، التقطت كارولين
بعض الأزهار من آنية الزهور بالشرفة ، واستندارت الى ، وراحت
تتحدث .. وتحدثت طويلا عن الجو .. وعن احتمال الذهاب معا الى
صيد السمك اذا ظل الجو صافيا هكذا .. وقد عجبت لهدهودها
المفاجيء ، وتوجست شرا ، وكان ينبغي في تلك اللحظة أن أكون على

حذر ، وإن أدرك أنها ولا شك قررت أن تقضى على أمياس ، وإن هذا القرار هو سر هبوطها المفاجيء . فقد كنت دائما أعرف أن كارولين امرأة شديدة الخطر رغم ما يبدو عليها من رقة وجاذبية أحسانا ، ولكننى ، بحماقتى ، ظننت أنها خضعت للأمر الواقع ، وإنها سوف تستسلم لنصيبتها فى الحياة



واقبل الجميع بعد ذلك .. الزا فى تحد وانتصار .. ولكن كارولين لم تحفل بها ، وأنقذت انجيلا الموقف بمناقشتها مع المس ويليامز بشأن الجوزلة ، قائلة : « إنها لن تغيرها ، لان ميرديث « المعجوز » لن يلحظ أنها فى حاجة الى كى » ، ومضينا فى الطريق الى أخى ميرديث .. كارولين وانجيلا فى المقدمة ، وأمياس وأنا ، ثم الزا بمفردها .. تسير شامخة الرأس .. بأسمة !

ووصلنا الى بيت ميرديث ، ولست أذكر شيئا من الحسديث الذى دار أثناء تناولنا الشاي ، ولكنى أذكر أن ميرديث ، وقد لاحظ اضطراب الموقف وعرف شيئا مما سيحدث بين كارولين وأمياس ، انفردي بعد الفراغ من الشاي وقال لى :

« اسمع يا فيليب .. مستحيل ان يفعل أمياس شيئا من هذا »
« تؤكد لك أنه سيتزوج بهذه الفتاة فى أقرب فرصة »
« ولكن .. كيف يترك زوجته وابنته ليتزوج بفتاة تصغره بعشرين عاما ؟ »
« لا تنزعج من هذه الناحية .. ان الزا تعرف تماما ما تريد .. وسوف تظهر به »

وانتهت محادثتنا عند هذا الحد . وكنت أعرف أن كارولين ، بعد طلاقها ، سوف تتزوج من ميرديث الذى ظل مخلصا لقلبها كل هذه السنوات .. والعجيب انى لا أتذكر بالتفصيل ماذا حدث فى غرفة العمل .. فقد كنت دائما أضيّق بعديث ميرديث عن هوايته فى استخراج العقاقير من النباتات الطبية ، وعن ثم وقفت معهم مستغرقا فى أفكارى الخاصة ، ولهذا لم أر كارولين وهى تختلس كمية سم الكونين ، ولكنى أذكر أن ميرديث ، بعد مفادرتنا غرفة العمل الى غرفة المكتبة ، قرأ لنا فصلا ممتعا رائعا عن مأساة سقراط ،

واللحظات الاخيرة من حياته بعد ان اعطى كأس سم الكونين ليشربه
وليس هناك ما يستحق التسجيل من أحداث هذه الليلة ، ولكنى
اذكر ان انجيلا تشاجرت بعنف مع امياس قبل ان تآوى الى النوم
بشان قراره للاحاقها بمدرسة داخلية . واذكر اننا ابتسمنا اسد
المشاجرة الصبيانية ، التى مضت من توتر الجو المنزلى ، ربما اثار
ضحكنا ، ان انجيلا قالت لامياس ، قبل ان تفر باكية الى مخدعها ،
انها أولا : ستعرف كيف تنتقم منه ، وثانيا : تمنى لو انه مات ،
وثالثا : ترجو ان يموت بالجدام ، ورابعا : تأمل ان تلتصق بانفـه
قطعة سحج ولا تنتزع منه ابدا ، كما جاء فى القصة الخرافية !
ولما ذهبت ، ضحكنا جميعا لهذه ، التشكيلة ، المنتقاة من الدعوات
واسرعت مس ويليامز وراء تلميذتها لتهدى من ثورتها ، وغادرت
كارولين الغرفة الى مخدعها ، ومضى امياس والزوا الى الحديقة ، اما أنا ،
فقد سرت بمفردى فى سكون الليل ...

وفى اليوم التالى ، هبطت الى قاعة الطعام فى ساعة متأخرة من
الصباح ، ولم يكن بها أحد ، فتناولت الافطار بمفردى ، وتجولت
قليلا ، ورأيت مس ويليامز تبحث هنا وهناك عن انجيلا التى هربت
منها حتى لا تخطب جوفتها بنفسها .. ثم عدت الى صالة الطابق
الاول حيث سمعت مشاجرة حامية كانت دائرة بين امياس وزوجته
فى غرفة المكتبة ، وقد سمعتها تقول بوضوح وبنفور شديد :

« هكذا أنت دائما مع نساءك ، لسوف أقتلك فى يوم ما »
وسمعت امياس يرد عليها قائلا : « لا تكونى حمقاء يا كارولين »
فقالت : « بل اننى أعنى ما أقول »

ولم اشأ ان أسمع أكثر من هذا ، فغادرت الصالة الى الشرفة
الكبيرة ، حيث رأيت الزوا جالسة على مقعد مستطيل تحت نافذة غرفة
المكتبة مباشرة .. وكانت النافذة مفتوحة ، ولهذا اعتقد أنها سمعت
كل كلمة دارت بين الزوجين . ولكنها حين رأتنى ، نهضت بسرعة ،
وأقبلت نحوى بأسمة ، وتناولت ذراعى ، وقالت ان الجو فى ذلك
اليوم جميل .. فيا لها من فتاة قاسية لا ترحم .. تتغزل فى جمال
الجو بينما الحصومة دائرة بين الزوجين داخل القصر .. وبقيت فى
الشرفة بضع دقائق لتحدث ، ثم اذا كريل يقبل نحونا مضطرم
الوجه ، ويمسك بكتف الزوا فى شئ من العنف ويقول لها : « هلم .. »

فقد آن وقت الرسم .. اننى أريد أن أفرغ من الصورة اليوم .
فقلت له : « حسنا ، لسوف آتى بسترى الصوفية لاضعها على
اكتافى ، فان الهواء فى حديقة البحر بارد .. »
ولما دخلت القصر ، قال أمياس لى : « هؤلاء النساء .. »

ولم يزد .. وبقينا صامتتين حتى عادت الزا ، ومضت معه الى
حديقة البحر ، ودخلت أنا الى القصر ، ورأيت كارولين واقفة فى
الصالة فى شبه ذهول ، حتى خيل الى أنها لم ترنى ، وانما سمعتها
تقول بوضوح : « يا للقسوة .. يا للاستهتار »

ثم صعدت الى الطابق الثانى دون أن يبدو عليها أنها رأتنى أو
شعرت بى ، وكأنما هى مشغولة الذهن بتدبير شئ .. واعتقد « وان
كان ليس من حقى أن أقول هذا » أنها صعدت لتحضر السم الذى
قررت أن تقتل به زوجها .. وفى تلك اللحظة ، دق جرس التليفون ،
فلم أنتظر حتى يرد عليه أحد الخدم ، وانما تناولت الساعة ، فاذا
أخى ميرديث يخبرنى بأمر اختفاء كمية من سم الكونين من معمله ..
ولست بحاجة لأن أعيد ما قلته بهذا الشأن ، وانما يكفى القول اننى
طلبت من ميرديث الحضور فوراً ، وذهبت الى شاطئ الخليج لالتقى
به ، ومررت فى طريقى بسور حديقة البحر حيث سمعت أمياس
والزا يتبادلان الحديث فى بهجة وانطلاق ومرح .. وكان أمياس يقول
ان الجو فى ذلك اليوم حار بشكل عجيب بالنسبة لشهر سبتمبر ،
وقالت له الزا ان الهواء البارد الذى يهب عليها من البحر جعل
عضلاتها تتيبس وهى جالسة أمامه بغير حراك ، وأردفت قائلة : « لا
يمكن يا حبيبى أن تدعنى أستريح قليلاً » وسمعت أمياس يصيح بها
« لا لا .. أبقى كما أنت .. فأننى أسير سيراً حسناً فى اللوحة ،
وأؤكد لك انها ستكون رائعة .. لا تقطعى حماسى للعمل .. »
وسمعتها تضحك قائلة « يا لك من وحش قاس »



ووصلت الى شاطئ الخليج حيث رأيت ميرديث يغادر الزورق .
وشرعت أتحدث معه بشأن السم المسروق ، ولما تأكدت تماماً من أن
كمية من سم الكونين سرقت حقاً من معمله ، قلت له لابد أن تكون
كارولين هى السارقة حتى تقضى على الزا وتحفظ بزوجها ، ولكن
ميرديث أبى أن يصدق ان تهبط كارولين الى حد ارتكاب الجريمة ،

وان من المرجح أن تكون الزا هي السارقة ، وهكذا بقينا نتجادل ، ثم قررنا أن نتحرى الأمر في روية وهدوء ، وأن ينفرد كل منا في الوقت المناسب بكارولين والزا لمحاولة استمراجتهما أو تحذيرهما من مغبة هذا العمل . . . وكنا نتحدث في هذا الأمر ونحن صاعدان في المنحدر إلى القصر ، ولما اقتربنا من سور حديقة البحر ، سمعنا ما يشبه المشاجرة بين أمياس وكارولين في الحديقة ، وقد سمعنا كارولين تقول لزوجها : « انك قاس على الفتاة أكثر مما ينبغي » ثم اذا باب الحديقة يفتح ، وتخرج كارولين مضطربة الوجه ، ثم تبتسم لنساء وتقول انها كانت تتناقش مع أمياس بشأن الحاق انجيلا بالمدرسة ، وأنه مصر على رأيه ، وفي تلك اللحظة ، أقبلت الزا من ناحية القصر حاملة في ذراعها معطفا خفيفا من الصوف الاحمر ، فلما رآها أمياس ، قال لها : « هلم عودي الى مكانك لاواصل الرسم ، فاني لا أريد أن أضيع الوقت »

وعاد هو الى حامل الرسم ، وقد لاحظت انه يسير مترنحا بعض الشيء ، وخطر لي انه أسرف في الشرب ، واذا كان قد أسرف ، فله العذر ، فليس هناك من يستطيع أن يحتمل كل هذه المشكلات دون أن يستعين ببعض كؤوس من الخمر !

ثم سمعته يقول متأفقا :

« لماذا لا توجد هنا بعض زجاجات البيرة المثلوجة بدلا من هذه الساخنة الرديئة المذاق »

فقلت له كارولين : « لسوف آتي اليك بزجاجة من ثلاجة القصر »

فضمهم أمياس قائلا : « شكرا . . »

ثم أغلقت كارولين باب الحديقة وصعدت معنا الى القصر ، وهناك ، دخلت هي ، وجلست أنا مع ميرديث في الشرفة ، وبعد خمس دقائق أحضرت لنا انجيلا زجاجتين من البيرة وبعض الاقداح ، وفيما نحن نشرب ، رأينا كارولين وهي تمضي بزجاجة بيرة مثلوجة قائلة أنها ستحملها الى زوجها ، فعرض عليها ميرديث أن يمضي بها الى أمياس بدلا منها ، ولكنها أصرت على أن تقوم هي بخدمته . وقد خطر لي ، لحافتي ، أن اصرارها هذا يرجع الى سلسلة غيرتها ، وإلى رغبتها في أن تفاجيء زوجها بين الحين والآخر وهو منفرد بالزا في

حديقة البحر ، ولهذا فاجأته قبل الآن متظاهرة بالرغبة في مناقشة موضوع الحاق انجيلا بالمدرسة ..

وسارت منحدره في الممر المتعرج ، وراقبها ميرديث برهة ، أما انجيلا فقد كانت تلعب في أن أصحبها للسباحة في البحر ، ومن ثم ذهبت معها بعد أن قلت لميرديث عن موضوع اختفاء سم الكونين « لسوف نواصل الحديث في الموضوع بعد الغداء »

وقضيت فترة طيبة في السباحة مع انجيلا وأنا أقرر في أعماق نفسي أن أتحدث ، بعد الغداء ، مع كارولين في موضوع السم المختفي ، ذلك أني كنت انتهيت حينذاك إلى أنها هي التي سرقت كمية السم ، وأنه ليس هناك ما يدعو الزا إلى ارتكاب أية جريمة ما دامت واثقة بأنها هي المنتصرة في المعركة ، وأن أمياس على استعداد للانفصال عن زوجته والزواج بها ..

وسمعنا رنين جرس الغداء ، فانطلقت مع انجيلا مسرعين إلى القصر ، وهناك وجدنا الجميع ، فيما عدا أمياس الذي قال أنه سيبقى ليفرغ من رسم اللوحة ، جالسين إلى مائدة الطعام ، وفرغنا من تناول الغداء ، وجلسنا نشرب القهوة في الشرفة ، واني أحاول الآن أن أذكر كيف كانت حالة كارولين في تلك الفترة ، وأنه من العجيب أن أذكر أنها كانت في حالة هدوء تام وكأنها لم تقتل منذ لحظات وجلا .. زوجها .. وأيا .. واني ، لهذا السبب ، لأزداد شعورا بالحقد عليها والكراهية لها .. فلو أنها قتلت أمياس بمسدس في ساعة غضب لالتصمت لها بعض العنر ، أما أن تدبر مقتله بالسم، ثم تتناول الغداء بهدوء ، بل وبشهوة ، ثم تجلس معنا في الشرفة وتشرب القهوة دون أن ترتعد لها يد ، أو يطرف لها جفن ، أو يشحب منها وجه ، فهذا ما لا يقدر عليه إلا شيطان في صورة امرأة ..

ونهضت أخيرا ، وقالت بهدوئها القاتل : « أنها ستتحل القوة إلى أمياس » ستحملها إليه وهي موقنة تماما أنه ميت .. !! وذهبت معها مس ويليامز لتبحث عن مسديرة صوف نسيبتها انجيلا على الشاطئ ، وبعد اختفائهما في الممر ، نهض ميرديث ، وسار وراءهما ، وفيما أنا أهرع بالحاق به بعد أن اعتذر لآرا ، إذا هو يعود مهرعا مضطربا يقول :

« يجب استدعاء طبيب حالا .. ان أمياس .. في حالة خطرة »

قوثبت واقفا وهتفت « ماذا به .. مات ؟! »
 فقال ميرديث « نعم .. »
 وعندئذ دوت صيحة مفزعة رهيبة أطلقتها الزا ثم اذا هي تلول
 قائلة :
 « مات .. مات .. مات .. مات .. !! »
 وانطلقت تعدو بسرعة عجيبة ، كالغزال المريج ، أو كرمز للفضب
 والانتقام .. وقال ميرديث لاهتا :
 « أسرع وراءها .. أسرع .. فلا يدري أحد ماذا يمكن أن تفعل
 هذه الفتاة .. ولسوف أستدعى طبيبا بالتليفون حالا »
 وأسرعت وراءها وأعتقد أنني لو لم الحق بها ، لقتلت كارولين
 بيديها .. فانا لم أر في حياتي امرأة على مثل هذا الحزن والغضب
 والثورة والرغبة في الانتقام ، كانت امرأة سوقية عنيفة حرمت من
 حبيبها بالموت .. ولو أتبعته لها الفرصة لمزقت وجه كارولين
 بأظفارها ، ولأنشبت أسنانها في عنقها ، ولألقت بها من مسور
 الحديقة الى البحر .. واستطاعت مس ويليامز بحزمها أن تهدئ من
 ثورتها ، وهدأت الزا أخيرا ، ووقفت ترتعد وتلهث وتشيق ..
 أما كارولين ، فقد وقفت ثابتة ، مائة ، ويمكن القول ، ذاهلة
 أيضا .. ولكنني أعتقد أنها لم تكن ذاهلة حقا ، وإن كانت عيناها
 تنمان عن هذا الدهول .. والخوف ..
 وذهبت اليها ، الى كارولين ، وقلت لها بصوت خافت :
 « أينما القاتلة الملعونة .. كيف تقتلين أحب أصدقائي »
 فتراجعت في فزع وقالت :
 « لا .. لا .. لا .. انه قتل نفسه »
 فنظرت في عينيها طويلا وقلت :
 « قولي هذا لرجال البوليس .. ان أحدا لن يصدقك »
 وقد قالت هذا .. ولم يصدقها أحد ..



وذهبت إليها ، إلى كارولين ، وقلت لها : « انتهى
القاتلة الممونة ... كيف تفتين أحبا صدقائي؟... »

الفصل التاسع

اعتراف الحبیب الهادئ

وكتب ميرديث بليك يقول عن المأساة :
اننى شخصيا لازلت أعتقد أن أمياس كريل مات منتحرا .. ولا
تسألنى لماذا أو كيف ، فانى إن أومن فى يوم من الايام أن كارولين
ارتكبت جريمة قتل . وكذلك ليس هناك أى دافع يبرر قتل
أمياس على يد واحد من الاشخاص الخمسة الذين كانوا موجودين
اثناء وقوع المأساة . وإيا كان الامر ، فانى سأسرد الحقائق كما
أذكرها ..

أذكر أولا هذه المحادثة التى دارت بينى وبين كارولين قبل المأساة
ببضعة أسابيع ، أى عند ما قامت الزا جرير بزيارة أمياس فى قصره
اول مرة . وكانت كارولين تعرف عن يقين مدى حبه لها ، واستعدادى
للتضحية بشانها ، وانتهاز كل فرصة لخدمتها والتسرية عنهما
وتخفيف أحزانهما . وقد دهشت حين سألتنى فجأة هل أعتقد أن
أمياس يحب تلك الفتاة حقا ، فقلت :

« أعتقد أنه مهتم فقط برسم لوحة فنية لها »

« لا .. لا .. بل أنه يهيم بها غراما »

« أنها جميلة وجذابة .. هذا صحيح .. ولكننى أعرف ياكارولين
أن أمياس ، برغم علاقاته المتعددة بالنساء ، لا يحب أحدا غيرك ..
أنت فقط ياكارولين التى تملئين قلبه وحياته »

« هذا ما كنت أعتقد دائما .. »

« وحتى الآن .. »

فهزت رأسها وقالت :

« ولكننى خائفة يا ميرديث هذه المرة . نعم خائفة ... ان الفتاة

تحب امياس حبا حقيقيا .. هذا ما اشعر به ، وانها لشابة .. ومتفتاة
في الحب . ويبدو انه الحب الاول الحقيقي في حياتها . ولهذا اشعر
ان الامر : هذه المرة ، جد وخطر .. »

ثم اردفت قائلة : « اننى في الرابعة والثلاثين من عمري يا ميرديث ،
وقد تزوجت بامياس منذ عشرة اموام .. ولكننى لا اكاد اذكر -
من ناحية الجمال والجاذبية - مع هذه الفتاة التى تتمتع بكل شيء ..
بالنسب والجمال والمال والعاطفة الثائرة .. »

فقلت لها : « ولكن امياس ، مع هذا ، لا يطبق الحياة بدونك
يا كارولين ؟ »

فقلت وهى ترسل ضحكة خفيفة مريرة :
« هل يمكن لاية امرأة ان تثق دائما فى اى رجل ؟ ! اننى يا ميرديث
امرأة بدائية ، وانمنى لو استطعت ان اقرر بطن هذه الفتاة .. »
فقلت لها : « ان الامر كله لن يبدو ان يكون نزوة عابرة بين امياس
والزا .. وان كلا منهما لن يلبث ان يفتح عينيه على حقائق الحياة ،
وان يعتمد فى النهاية عن الآخر .. »

وحولت هى مجرى الحديث .. ولم تلبث الزا بعد تلك الزيارة
الاولى ان عادت الى العاصمة ، ولحق امياس بها حيث قضى معها
في العاصمة بضعة اسابيع ، ثم نسيت انا تقريبا كل شيء عن الموضوع
الى ان سمعت ان الزا عادت مرة اخرى للاقامة مع امياس في قصر
الدوبري ، وذلك لكى يفرغ من رسم اللوحة التى بداها اثنساء
زيارتها الاولى . واذكر انى حدثتك بما دار بينى وبين امياس ،
ثم الزا من حديث فى هذا الموضوع ، ولكننى لم استطع ان ابادل
الحديث على انفراد مع كارولين الا فترة وجيزة ، وذلك حين قالت
لى ان كل شيء بالنسبة لها قد انتهى .. وانها هى قد انتهت ايضا ..
ولهذا اعتقد تماما انها اختلست كمية من سم الكونين بعد محاضرتى
الحمقاء عنه ، لا لتقتل به احدا ، وانما لتنتحر به ، ولكن يبدو لى ان
امياس اكتشف هذه الحقيقة .. اكتشف ان زوجته استولت على
كمية من مخدر سام لتنتحر ، فاستيقظ ضميره ، وقرر ان ينتحر
هو بدلا منها .. لماذا ؟ لانه رأى نفسه بين امرين احلاهما مر .. فهو
لا يستطيع الحياة بدون الزا بعد ان تمكن حبها من قلبه ، ثم هو لن
يستطيع ان يهجر زوجته حتى لا يدفعها الى الانتحار بعد ان رأى

بنفسه عزمها عليه ، فماذا يفعل ؟ ! لم يكن أمامه الا أن يبيع نفسه بالموت... ولكنه لم ينتحر الا بعد أن فرغ أو كاد من رسم اللوحة التي كان يهتم بها في ساعاته الأخيرة أشد الاهتمام

وانا اعترف طبعاً أن في هذه النظرية ثغرات كثيرة .. فمثلاً لماذا لم نجد على زجاجة الكونين في غرفة نوم كارولين غير بصمات أصابعها ؟ هل يمكن أن تكون بصمات امياس قد أزيلت بسبب وضع الزجاجة بين الملابس القديمة ، ثم ارتسمت بصمات أصابع كارولين عليها حين أسرعت بعد وفاة امياس لترى ماذا حل بالزجاجة ؟ .. ربما ..

ولعل موقف كارولين أثناء المحاكمة يؤيد نظريتي هذه بعض التأييد .. فقد أدركت أنها هي التي دفعت بزواجها الى الانتحر ، وأنها هي التي أعدت له المادة السامة التي انتحر بها ، ومن ثم قررت أن تدفع الثمن ، وأن تلحق به ..

أما عن مساعري وتصرفاتي الخاصة ، فأقول أنني نمت مضطرباً بعد انصراف الجميع عقب تناولهم الشاي في بيتي .. نمت مضطرباً بعد أن حاولت أن أفكر في وسيلة أو في أخرى اتقذ بها الموقف بين كريل وزوجته . واستيقظت في الصباح الباكر في نحو السادسة ، وذهبت الشاي ، ولكنني وجدت رأسي ثقيلة بسبب اضطراب نومي ، فنمت مرة أخرى حتى الساعة التاسعة والنصف صباحاً ، وعندئذ شعرت كأن شخصاً يتحرك في الغرفة التي تقع أسفل غرفتي مباشرة .. وهي غرفة العمل .. واستطيع القول هنا أن هذه الحركة قد تكون ناتجة عن دخول قطة الى العمل ، لأنني حين ارتديت ملابسني وهبطت الى غرفة العمل وفتحت بابها بمفتاحي الخاص ، وجدت أنني أهملت في اليوم السابق إغلاق النافذة كما ينبغي .. ومصرع النافذة كما تعلم من النوع الذي يرتفع وينخفض عند الفتح والغلق .. وقد وجدت ثمة فتحة في النافذة تكفي لادخال قطة .. وفيما أنا أطوف بنظرائي في جوانب المعمل ، لاحظت أن زجاجة الكونين بارزة قليلاً عن صف الزجاجات فوق الرف ، فلما رفعت يدي لأميدها الى مكانها ، رأيت ، لفرع ، أن الكمية التي بها أقل من النصف ، رغم أنها كانت في اليوم السابق ممثلة تماماً ، وشعرت أولاً بالاضطراب ، ثم بالخوف ، ثم بالفرع .. ورحت استجوب الخدم في عناية ، ولكنني أيقنت أن أحداً منهم لم يدخل غرفة العمل ..

واخيرا اتصلت تليفونيا بأخي فيليب أسأله النصيحة ، فطلب منى أن اسرع اليه لاتبادل معه الحديث في هذا الامر الخطر .. وفيما انا في طريقى الى الخليج لاستقل الزورق ، رأيت مس ويليامز تبحث عن تلميذتها انجيلا الهاربة منها .. والتقيت بفيليب في الجناح الآخر من الخليج ، وسرت معه صاعدين في الممر المتخرج الى القصر ، وفيما نحن نسير بجانب سياج حديقة البحر ، سمعت أمياس وكارولين يتبادلان الحديث بصوت مرتفع ، وكأنهما يتشاجران ، وقد فهمت من العبارات الاخيرة أن كارولين تتهمه بالقسوة على الفتاة ، وأنه يؤكد لها أن كل شيء قد انتهى ، وأنها لا بد أن ترحل ، وفجأة فتشع باب الحديقة وأقبلت كارولين مضطربة ، ولسكنها ابتسمت حين رأتنا وقالت أنها كانت تتناقش مع أمياس بخصوص انجيلا والحقا بالمدرسة . وفي تلك اللحظة أقبلت الزا من ناحية القصر ممسكة بمعطف من الصوف الاحمر ، فهتف بها أمياس لكي تسرع وتجلس في مكانها حتى يفرغ من رسم اللوحة ، وواصلنا نحن السير في طريقنا الى القصر



وجلست مع فيليب في الشرفة الكبيرة نتبادل الحديث في موضوع السم المختفى ، ثم أقبلت انجيلا تحمل اليانا زجاجتين من البيرة وبعض الاقداح ، فسألتهما عن السبب في هروبا من مس ويليامز ، فقالت أنها كانت تسبح ، وأنها لا تجد سببا يدفعها الى خياطة جواربها القديمة مادامت ستظفر بملابس جديدة عند التحاقها بالمدرسة . ورأينا كارولين وهي تحمل زجاجة بيرة مثلجة الى زوجها ، ثم ذهب فيليب مع انجيلا للسباحة ، ولما بقيت بمفردى ، نهضت وسرت الى الهضبة الصغيرة التى تشرف على حديقة البحر ، وجلست على مقعد خشبي مستطيل أتسلى بالنظر من بعيد الى أمياس وهو يرسم الخطوط الاخيرة لالزا التى كانت جالسة على سور الحديقة في الوضع المناسب .. وكانت تضع على كتفها المعطف الصوفى الاحمر لتحتمى به من هواء البحر البارد ، وكان وجهها ينبض بالحياة والصحة والشباب ، وصوتها ينساب رنانا بالبهجة وهي تتبادل الحديث مع أمياس عن المستقبل الباسم الذى ينتظرهما معا ..

وارجو الا يخطر ببال احد انى كنت استرق السمع .. لا .. فقد كانت الزا ترانى من مكانها ، وقد لوحت لى بلباسها قائلة ان امياس شديد القسوة عليها فى هذا الصباح ، وانه يرفض ان يتيح لها فترة للراحة من البقاء على هذا الوضع ساعات متواصلة .. ودمدم امياس قائلا انه ايضا يشعر بتيبس فى عضلاته ، وانه يخشى ان يكون قد أصيب بروما تزم عضلى ، فداعبته الزا بقولها : « يالك من رجل عجوز مريض » ورد عليها بقوله « انك ستزوجين من رجل مقيد بالروما تزم »

وقد امضى وسلمنى حديثهما هذا المرح من مستقبلهما ، دون ان يهتم فى قليل او كثير بلام كثرولين واحتراتها .. ولكنى لم اتح باللائمة على الزا .. فقد كانت طفلة .. فى نحو العشرين من عمرها ، خافقة القلب بالحب ، سعيدة بالحياة ، مفتونة بسحر جمالها ، غير مدركة بحقيقة الموقف او بقسوة الالام التى تسببها للغير .. انها فى الواقع لم تكن ترى فى الوجود احدا غيرها وغير امياس ..

وكان الحديث بينها وبين امياس متباعد الفترات .. فبعد كل خمس او عشر دقائق تتحدث بشيء ، فيرد عليها ، فمثلا قالت له : « اعتقد انك محق فى رايتك عن اسبانيا .. نعم .. انها خير مكان شاعرى لقضاء شهر العسل .. ولكن لاتنس ان تاخذنى وتفرجنى على حفلة من حفلات مصارعة الثيران .. لاشك ان مثل هذه الحفلات مثيرة للمشاعر ، وانا ارجو الا يموت الثور فى الحفلة التى ساحضرها ، واما اليتادور .. وانى لافهم الان كيف كانت مشاعر نسل روما القديمة وهم يرين المصارعين يموتون .. فان الرجال كثيرون ، ولكن الحيوانات المدربة قليلة .. »

وامتقد انها هى نفسها كانت كحيوان جميل .. بدائى المشاعر ، قليل التجارب ، عديم التفكير .. نعم .. كنت أعتقد انها لم تكن تعرف كيف تفكر .. واما تعرف كيف تشعر فقط ..

ودن جرس الغداء ، فهبطت من الهضبة والتقيت بالزا عند باب الحديقة ، وكان امياس متهاككا على القمد المستطيل بجانب لوحة الرسم ، فظننته : كالعتاد ، يستريح او يستلهم الوحي .. اذ انى كثيرا ما رايت على مثل هذه الحال .. وقد قالت لى الزا حين نظرت اليها مستفسرة : « انه لن يذهب معنا لتناول الغداء » فقلت فى نفسى

«خير افعل» وكان هو ينظر الى نظرات غريبة عجيبة كأنما يريد أن يقول شيئا ولكنه لا يستطيع ، ولم أكن أدري أن المسكين في تلك اللحظة كان يحتضر ، وأن الشلل كان يسرى في كل عضلات جسمه حتى لسانه .. وهكذا تركته مع الزا ونحن نظن أنه بخير ، وأنه لن يلبث أن ينهض ويستأنف العمل في اللوحة .. وكانت الزا المسكينة تثرثر معي وتضحك وهي لا تدري أنها لن ترى حبيبها مرة أخرى إلا جثة هامدة

وكانت كارولين طبيعية هادئة أثناء تناول الغداء وبعده .. وهذا ما يجعلني شديد الثقة ببراءتها .. فلا أظن أنه يوجد في الدنيا امرأة تستطيع أن تبدو بمثل هذا الهدوء والثبات وهي تعلم أن زوجها يحتضر بالسقم الذي دسسته له .. لا .. هذا في رأيي مستحيل

ولما اكتشفت بنفسها الوفاة ، بدت لي كأنها ذاهلة من فرط الصدمة .. أما الزا ، فكانت كالوحش النائر الذي اختطفته منه طعامه وهو أشد مايكون جوعا .. وقد كادت أن تفتك بكارولين بعد أن اتهمتها بقتل اميلاس لولا أن تدخل فيليب في الأمر ، كما قال لي ، وتعاون مع مس ويليامز على تهدئة نائرتها

وأذكر أن كل ما حدث بعد ذلك كان كالكابوس المزعج الرهيب .. فقد جاء الطبيب ، ثم رجال البوليس ، ثم مندوبو الصحفيين والمصورون وأصبح المكان كخلية نحل هاجمتها أسراب من «الدبابير»

نعم .. كان كل شيء بعد ذلك مثل كابوس رهيب ..

واعتقد أن هذا الكابوس لا يزال مخيما على حياتنا رغم مرور كل هذه الأعوام ..

أنتى أسأل الله أن يحقق لك رلا الصغيرة أملها في الوصول إلى الحقيقة الكاملة ، فاتها سوف تنسى كل شيء حين يطمئن قلبها إلى حقيقة ما حدث

أما أنا ، فلا زلت أعتقد أن اميلاس مات منتحورا ، ولا تسألني لماذا ... فان كثيرا من الناس يرتكبون أشياء لم تكن متوقعة منهم .

الفصل العاشر

قصة غرام

... وهذه هي رواية الليدي دنتشام :
لسوف اذكر هنا القصة كاملة من بدايتها ... منذ ان التقيت
بامياس كريل لأول مرة الى نهايتها المفجعة
رأيتة اول مرة في حفلة فنية باحد المعارض .. كان واقفا بجانب
النافذة .. ورأيتة وانا ادخل من الباب .. وسألت احسدهم
من يكون هذا ، فقال : « انه الرسام كريل » فقلت فورا : « اننى اريد
ان اتعرف به .. »

وتعرفت به .. وتحدثت معه نحو عشر دقائق .. ولست ادري
على وجه التحديد كيف كانت مشاعري في تلك اللحظات .. ولكن
يكفى ان اقول : « ان كل شيء بدا في عيني صغيرا ضئيلا بجانب امياس »
لقد ملا هو افق حياتي ، فلم اعد ارى احدا غيره .. وبعد هذه
المقابلة مباشرة ، ذهبت للتفرج على جميع لوحاته المعروضة في بوند
ستريت ، وفي متاحف لندن ومدينة لينز .. وتقابلت معه مرة
اخرى ، وقلت له : « لقد شاهدت جميع لوحاتك .. واعتقد انها
رائعة »

فنظر الى في ابتسام خفيف وقال :
« ومن قال انك تصلحين للحكم على اللوحات الفنية .. اكبر ظنى
انك لا تفهمين شيئا من فن الرسم »
« ربما .. ولكن هذا لا يمنع من اعجابي الشديد بها »
« لا تكونى حمقاء متهورة في احكامك »
« اننى لست كما تظن ، اريد ان ترسمنى بريشتك »
« لو كنت تفهمين شيئا في الفن ، لادركت اننى لا ارسوم لوحات

للفتيات الجميلات ، ان أساس رسومي كلها ، هي الفكرة لا الأشخاص «
 « ارسمنى على اى فكرة ، وما اظن انى فتاة جميلة »
 فنظر الى برهة وكأنما يرانى لأول مرة ثم قال :
 « نعم ، اعتقد انك على صواب »
 « هل سترسمنى اذن ؟ »
 « يبدو لى انك طفلة عجيبة ، اليس كذلك ؟ »
 « اننى طفلة موفورة الثراء كما تعلم .. واستطيع ان ادفع لك
 ما تريد من اجر »
 « لماذا تلهفين الى هذا الحد لكى ارسمك ؟ »
 « لانى اريد هذا »
 « اهلا سبب معقول ؟ »
 « لقد تعودت دائما ان اظفر بما اريد »
 « اوه ... يا لك من طفلة حمقاء ؟ »
 « هل سترسمنى اذن ؟ »
 فامسك بكتفى فى شئ من العنف ، وراح يمعن النظر الى وجهى
 وشعرى وصدرى ، ثم قال :
 « نعم ، ساجعل منك لوحة فنية ، مهرجانا للالوان »
 « اذن سترسمنى ؟ »
 « نعم .. سارسم اروع واجمل وابهى الالوان الضاحكة ،
 النابضة ، المتوتبة ، التى تصور الجمال ، والشباب ، وافراح
 الحياة »
 « اتفقنا »
 « ولكنى احذرك يا الزا جرير ... اننى عادة اقع فى حب التى
 ارسمها »
 « اتمنى ان تفعل »
 فلهت أنفاسه ، ونظر الى فى دهشة ، وقد بدا الحب فعلا يطل
 من عينيه فى تلك اللحظة .. هكذا ، ببساطة ، جمع الحب بيننا
 بأقوى رباط
 والتقينا مرة اخرى بعد يوم او اثنين ، وطلب منى ان اذهب معه
 الى قصره فى الدربرى لانه يريد ان يرسمنى فى وضع خاص ، وفى
 اطار معين تجتمع معه كل ما فى الطبيعة من الوان وبهاء ، ثم قال :

« اننى رجل متزوج كما تعرفين ، واحب زوجتى اشد الحب »
« اذن لا شك انها جميلة ولطيفة ما دمت تحبها هكذا »
« جدا .. والواقع اننى اقدس التراب الذى تسير عليه ، ويجب
ان تفهمى هذا تماما »
« حسنا .. فهمت »

وبدا اللوحة بعد اسبوع ، وقد استقبلتنى كارولين فى اول الامر
بحماس وترحاب ومودة ، ولكن فى شىء من التحفظ الخفى ..
وامتقد انه لم يكن هناك ما يدعو الى خوفها منى ، فان امياس لم
يحاول ان يقول لى شيئا لا يستطيع ان يقوله امام زوجته .. وكنت
انا اعاملها بادب ورقة وتهذيب .. ولكننا ، فى اعماق نفوسنا ،
كنا نشعر بالقدر المتريص لنا

وكان على ، بعد عشرة ايام قضيتها فى تلك الزيارة الاولى ان اعود
الى لندن ، فقلت له :

« انك لم تفرغ من رسم اللوحة بعد ؟ »
« اننى فى الواقع لم ابدأها بعد »
« لماذا ؟ »

« انت تعرفين السبب يا الزا ، ولهذا يجب ان ترحلى حتى تهذا
مشاعرى ، فاننى لا أستطيع ان افكر فى الرسم ، بل لا أستطيع ان
افكر فى شىء آخر ... غيرك »

وكنا فى حديقة البحر عندئذ .. وكان الجو دافئا صافيا زاهرا
باغليد الطيور ، مفعما بأريج الزهور .. وكان ينبغى ان نشعر
 بالسعادة ، ولكننا لم نكن نشعر الا .. بالقلق .. وكأنما كانت
أرواحنا تدرك المصير المنتظر !

وكنت اعرف انه لا فائدة من عودتى الى لندن ، ولكنى ، مع
هذا ، قلت :

« حسنا .. سأبتعد عنك اذا كان هذا يرضيك »
« انك فتاة رائعة ... »

وعدت الى لندن ، ولم اكتب اليه ..

وصبر هو عشرة ايام .. واشد ما دهشت وصدمت حين رايت
 حاله اليأس ، ونحول جسمه أثناء هذه الايام « عشرة من الفراق
وقد قال لى حين رأتى :

« لقد حطرتك يا الزا .. فلا تلوميني .. »
« اننى لا ألومك .. ولكننى سأفتح ذراعى لك .. فقد كنت
فى انتظارك .. وكنت اعرف انك آت الى »
فتأوه وقال : « هناك اشياء أقوى من كل ارادة انسانية .. لم
يكن فى مقدورى ان أكل او انام او استريح لفرط شوقى اليك
ولهفتى عليك »
فقلت له اننى اعرف هذا ، لان هذا هو نفس شعورى منذ
رايته اول مرة ، فقال :
« كانك لم تحاولي ان تقاوسى هذا الشعور كما قاومته »
« ولماذا أقاومه وهو أجمل شعور احسست به فى حياتى ؟ »
« لو لم تكونى صغيرة الى هذا الحد »
« ولكن قلبى ليس صغيرا .. »
وقضينا معا بضعة أسابيع .. واعتقد اننى عاجزة تماما عن
وصف السعادة التى كانت تملأ قلوبنا فى تلك الاسابيع .. انها لم
تكن سعادة ، وانما كانت شيئا أعمق وأضخم ..
ولكن امباس كان يشعر بالقلق من أجل الصورة .. وفى نهاية
تلك الاسابيع قال :
« اننى لم استطع ان استمر فى رسمك .. بسبب اضطراب
مشاعرى نحوك .. اما الآن .. اما وقد عشت معك كل هذه
الاسابيع ونشرت روحى من رحيق جمالك وشبابك ، فانى اشعر
تماما بانى سأرسم صورة لم يشهد لها عالم الفن مثيلا .. اننى الآن
اكاد اموت شوقا الى استئناف الرسم .. هناك .. ستجلسين على
سور الحديقة .. وحولك زرقعة السماء ، وخضرة الاشجار ، وكانك
رمز للنصر .. »
ثم اردف يقول :
« المهم الآن ان افرغ من الصورة فى جو هادى ، وبعد ذلك سأخبر
كارولين بكل شيء ، ثم نتفق على حل للمشكلة »
« اعتقد ان كارولين ستمانع فى الطلاق منك »
« لا اظن .. ولكن ، مع يدري ؟ »
« اذا كانت تحبك - ، فيجب ان تعمل على اسعادك ولو على
حساب الامها .. »

« هذه كلمات تقال في الكتب والروايات .. ولكن الحقيقة غير ذلك .. ان للطبيعة الانسانية مخالب وانيابا .. فلا تغفل عن هذا .. »

« ولكننا نعيش في عصر متحضر .. والناس المتحضرون لا يستخدمون مخالبهم وانيابهم لتحقيق اغراضهم »
فضحك وقال : « ولكنها ستعذب .. فهل تعلمين يا الزا معنى عذاب الزوجة المهجورة ؟ »

فقلت : « اذن .. فلا تخبرها .. لا تصارحها بما بيننا .. ولا داعي لان تستمر علاقتنا الى ابعد من هذا »
« لا .. لا .. هذا مستحيل ايضا .. انك لي يا الزا .. لي امام الدنيا كلها .. لن يفرق بيننا احد »
« لنفرض انها رفضت الطلاق ؟ »
« اننى لست خائفا من هذا »
« اذن مم تخاف .. ؟ »
« اننى لا ادرى على وجه التحديد .. »

ارأيت ؟ ! لقد كان خائفا منها .. كان يعرف حقيقة نفسها البدائية .. كان يدرك انها امرأة ذات مخالب وانياب .. آه .. لو اننى ادركت يومذاك ما كان يجول بفكره ..

وعندنا مرة اخرى الى الدبرى .. ولكن الجو في هذه المرة كان مكهربا .. مشحونا بالشكوك والارتياح والعداء الخفى ، والغيرة العبياء .. ولم ارض عن هذا الجو بطبيعة الحال .. فقد عشت عمري كله اكره التفاق ، والمراوغة ، والتخفى .. وقد ألححت على امياس كثيرا لكي تصارحها ، ولكنه كان يصر على الرفض

ولكن الطريف في الموضوع كله انه لم يكن هو مهتما بهذا الامر .. وانما كان اهتمامه مركزا على اللوحة التى يعمل فيها .. فرغم انه كان ميالا لكارولين وكارها لايلامها ، فقد تركها تعاني عذاب الشكوك وراح يعمل في اللوحة كالمجنون .. وانا لم ار من قبل فنانا وهو يعمل ، ولستى حين رايته أثناء العمل ، أدركت فورا انه فنان اصيل .. فنان ملهم .. وهكذا كان مستغرقا في فنه ، محلقا به بعيدا عن مشاكل الحياة الدائرة حوله ، الطبقة عليه .. ولكن الموقف بالنسبة لي كان يختلف .. كان موقفي حرجا اشد ما يكون الحرج ..

كانت كارولين تكرهنى ، وتخزنى بمبارات ملتوية ، تبدو بريئة في
ظاهرها قاطمة كالسكين في حقيقتها .. ولها العذر .. وهكذا رايت
ان خير وسيلة لتخفيف حرج موقفى ، هى ان اواجه الامر في صراحة
وصدق .. ولما اخبرت امياس برأى هذا ، قال :
« اللعنة على الصراحة والصدق .. اننى اريد اولاً ان اتم رسم
اللوحة في هدوء ... »

ورغم فهمى لموقفه ، فقد أبى هو ان يفهم موقفى ..
ولم أستطع ان أحتمل الامر طويلاً .. فقد حدث ان تحدثت
كارولين عن رحلة ستقوم بها مع امياس في الصيف التالى الى
النرويج .. وكانت تحدث بلهجة الواثقة من نفسها ومن زوجها ..
وغضبت .. غضبت لجو الخداع والنفاق الذى تعيش فيه .. ومن
ثم صارحتها بالحقيقة .. ولم يستطع امياس الا ان يؤيدنى وينصرنى
عليها .. ثم ذهبنا جميعاً لشرب الشاي في منزل ميرديث ، وهناك
رايتها بعينى وهى تختلس كمية من سم الكونين من العمل .. وقد
خطر لى حينئذ أنها ستنتحر به



وفي صباح اليوم التالى ، سمعتها تتشاجر مع امياس في غرفة
المكتبة .. وكنت جالسة في الشرفة تحت نافذة الغرفة مباشرة ..
وقد بدا هو حديثه راجحاً ان تكون عاقلة ، وان ترضى بالامر الواقع ،
وان تتأكد بأنه سيرعى مستقبلها ومستقبل طفلتهما .. ولكنها أبت
الا ان تثور عليه ، فهتف بها غاضباً : « ليس هناك مفر من زواجى
بالزا .. سواء رضيت ام أبيت .. لن يمنعنى من الزواج بها شيء
فما نحن بأول زوجين يفترقان بالطلاق .. »
فقال له كارولين عندئذ :

« افعل ما تريد ... فقد حلرتك »

« ماذا تعنين يا كارولين ؟ »

« اعنى انك لى ... لى وحدى ، وانى افضل ان اراك ميتاً على
ان اسمع لامرأة اخرى ان تظفر بك .. واذا تماديت هكذا مع نساءك
فسوف اقتلك يوماً »

وبعد برهة ، رايت فيليب بليك يقبل الى الشرفة ، فنهضت اليه
حتى لا يسمع ما يجرى في غرفة المكتبة

وبعد ذلك أقبل امياس مضطرب الوجه ، وطلب منى ان اذهب معه
لكى يفرغ من رسم اللوحة ، فذهبنا الى حديقة البحر .. ولم
يقل هو شيئا اكثر من ان كارولين نائبة عليه ، ولكنه لا يريد ان
يتحدث عن هذا الموضوع حتى يفرغ من اللوحة .. واذكر انه قال
لى بالحرف الواحد :

« ان اللوحة هي اهم شئ فى حياتى الان .. وسوف تكون اروع
عمل فنى قمت به .. ولن اراجع عن اتمامها حتى لو دفعت فيها
كل هذا الثمن من الدموع والدماء »

وبعد نحو ساعة ، غادرت حديقة البحر لآتى بمعطى الصوفى
الاحمر لاضمه على كتفى ، اذ كان هواء البحر يهب على جسمى ،
باردا ... ولما عدت الى الحديقة ، وجدت كارولين هناك ، ولعلها
كانت تبلل محاولة اخيرة لاقتاع امياس بخطته نحوها .. وكذلك
كان معهما فيليب وميرديث بليك .. وعندئذ قال امياس انه فى
حاجة الى بيرة مثلجة ، لان البيرة الموضوعة فى الحديقة ساخنة
ورديئة المذاق ، فوعده كارولين بارسال زجاجة بيرة مثلجة من
القصر ، وكانت تتحدث بطريقة هادئة ، تدل على قوة اعصابها ،
وبراعتها فى التمثيل .. ولا شك فى هذا .. فقد قررت فى تلك اللحظة
ان تاتى بالبيرة المثلجة ... السامة !

واحضرت الزجاجة بعد عشر دقائق ، وكان امياس مشغولا
بالرسم .. وملأت له الكأس ووضعتها بجانبه .. ولم يكن احدنا
يراقبها وهى تفعل هذا .. فقد كان امياس منهمكا فى عمله ، وكنت
انا حريصة على البقاء فى الوضع المطلوب منى

وشرب امياس الكأس ، وبدأ على وجهه الامتعاض الشديد ،
وقال ان البيرة مذاقا مرا ، ولكن هذه الكأس ، على كل حال ،
باردة منعشة .. والمجيب اننى ، حتى هذه اللحظة ، لم أشك فى
الامر ، فقلت ضاحكة انه يعانى ولا ريب من مرض فى الكبد ..

وبعد اربعين دقيقة تقريبا ، سمعت امياس يشكو من تصلب فى
عضلاته ، وقال انه يخشى ان يكون مصابا بروماتيزم عضلى ، وكان
دائما يهرب عن خوفه من المرض ، فدأبته قائلة انه رجل عجوز ،
ودأبني قائلا اننى سأتزوج من رجل عجوز وقعيد بالروماتيزم ،
واخيرا دق جرس الغداء ، فتهالك جالسا على المقعد الخشبي

المستطيل وقال انه لن يتناول الغداء حتى يفرغ من رسم اللوحة ،
واقبل ميرديث الى باب الحديقة ، فذهبت معه الى القصر لاتناول
الغداء تاركة أميلاس يموت وأنا لا ادري .. اتنى لم ار فى حياىى
رجلا يحتضر .. وقد ظننته راقدا ، كمادته ، يستريح .. وآه لو
كنت أعلم الحقيقة .. اذن لاستدعيت طبيبا فى الحال ، ولسكان من
الممكن انقاذه .. ولكن ما فائدة الندم ؟

وبعد طعام الغداء ، وشرب القهوة فى الشرفة ، ذهبت كارولين مع
مس ويليامز ، ذهبت لتكتشف جثة زوجها الذى قتله بيديها ..
وعندما علمت بالكارثة أدركت قورا انها هى القاتلة .. وقد ظننت
لاول وهلة انها لم تقتله بالسهم ، وانما ذهبت وطعمته بسكين أو
برصاصة مسدس

وكننت أريد أن انشب اظافرى فى عنقها

كيف طاوعتها نفسها على قتله .. كيف رضيت أن تنتزع الحياة
من رجل كان ينبض بالحياة ويحب الحياة .. كل هذا لسكى لا اظفر
به دوتها .. امرأة رهيبة .. امرأة لمينة حقيرة متوحشة .. اتى
اكرهها .. امقتها .. احقد عليها .. انهم لم يشنقوها .. وكان
يجب ان يفعلوا .. بن ان الشنق كان اقل ما يجب لمقابها .. لشد
ما امقتها حتى الآن ..



الفصل الحادى عشر

المربية المعجوز

وهذه قصة المربية المعجوز :

اسمى سيسليا ويليامز .. التحقت بالعمل لدى مسز كريل لاقوم بتربية مس اتجيلا وارين والتدريس لها ، وكنت يومئذ فى الخامسة والأربعين من عمرى ..

وبدأت العمل فى قصر الدربرى ، وكان قصرا جميلا تحيط به مزرعة لطيفة ، وكانت المزرعة من أملاك أسرة كريل منذ أجيال عديدة .. وكان سكان القصر مكونين من مستر ومسز كريل، وابنتهما كارلا التى كانت عند جدتها أثناء وقوع المأساة ، وانجيلا وارين ، وكانت يوم التحاقى بالعمل صبية فى الثالثة عشرة من عمرها ، وثلاث خادومات علمت انهن نشأن منذ طفولتهن فى خدمة آل كريل

وقد وجدت تلميذتى فتاة ذكية ، قادرة على فهم ما يلقى اليها من دروس ، لطيفة خفيفة الظل ، ولسكنها عنبدة مدللة بسبب أسراف مسز كريل فى حبها والعناية بها ..

أما المستر كريل ، فقد أدركت ، منذ اللحظة الاولى ، انه رجل هوائى، متقلب ، دموى المزاج ، ولست أدري كيف استطاعت زوجته أن تحتل الحياة معه ، رغم خياناته المتكررة لها ، كل هذه السنوات ورايت مس الزا جرير عند زيارتها الاولى فى أول الصيف ، وكان واضحا لكل ذى عينين ان ثمة علاقة حب بينها وبين كريل ، وان مسألة رسم اللوحة ليست الا ستارا لاقامة الفتاة مع كريل فى قصر الدربرى

وليس ادل على ذلك من ان كريل لم يرسم شيئا فى اللوحة أثناء

زيارتها الاولى ، ولا شك انه كان هناك ما يشغلها في حديقة القصر من مهمة الرسم !

ولكن تلميذتى انجيلا ، والحمد لله ، لم تلاحظ شيئا من هذا كله ، فقد كانت من ناحية الانوثة ، اقل كثيرا من سنها ، ولم يكن يهمها الا اللعب والمرح واللعبات والقراءة ..

اما الزا جرير ، فكانت فتاة تافهة التفكير ، سوقية الطبع ، لا يهمها في الحياة الا مظهرها امام الناس وامعجاب الرجال بها واعتقد ان مسز كريل كانت تبذل كل جهدها لتخفى الالهة النفسية عن انجيلا حتى لا تظلل سعادة الفتاة الصغيرة باى ظل من الالم والتماسة ..

وعادت الزا جرير الى لندن .. وشعرنا حينئذ كان كابوسا ثقيلا قد ازبح من اكتافنا ، فقد كنا جميعا ، حتى الخدم ، نشعر بالكراهية لها .. اذ كانت من الاشخاص الذين يطالبون بالكثير دون ان يكلفوا انفسهم القاء كلمة شكر

وسافر المستر كريل بعدها ببضعة ايام .. وقد شعرت بالالم من اجل مسز كريل .. فقد كانت المسكينة تتعذب في صمت من تصرفات زوجها ، ولسكننا ، هي وانا ، رجونا ان يعود اميلاس من لندن وقد نفى يديه من هذا الحب الجديد ..

ولكنه ، للأسف ، عاد معها .. مع الزا .. وبدأ يرسم اللوحة في حماس جنونى ، ولسكنى مع هذا ادركت ان علاقته بهذه الفتاة لن تكون كنزواته السابقة مع النساء ..

وبلغت الازمة ذروتها عندما تمادت هذه الفتاة ، الزا ، في وقاحتها وجراتها ، وصارحت كارولين بعزمها على الزواج من كريل !

ورغم ان كريل كان غاضبا على صراحتها هذه ، فانه لم يستطع ان ينكر او يتراجع ، واعلن لزوجته ان ما قالته الزا هو الحقيقة

ولم اشهد في حياتى موقفا مخجلا كهذا بين زوج وزوجته لقد تمنيت في تلك اللحظة ان يعاقب اميلاس كريل عقابا الهيا ، جزاء ما ارتكبه في حق زوجة نبيلة كريمة متفانية ..

وبعد هذا المشهد العاصف .. حاولت ان اواسى كارولين ، فقالت لى :

— على كل حال يجب ان نتصرف في حياتنا كالاعتاد ، وكان شيئا

لم يحدث .. والدليل على هذا أننا سنذهب لشرب الشاي في بيت
ميرديث بليك حسب الموعد المتفق عليه ..
« اعتقد يامسز كريل أنك سيدة رائعة مدهشة »
« الحقيقة ، أنك لا تعرفين ... »
ثم غادرت الغرفة ، ولم تلبث أن عادت وقالت :
« أنك يامسز ويليامز مخطصة . لا تمس من وجودك
بجانبى الراحة والعزاء »
وذهب جميعهم الى منزل المستر ميرديث بليك ، ثم عادوا في نحو
السادسة مساء

ولم استطع الانفراد بمسز كريل في تلك الليلة .. ولكنى اذكر
أنها كانت هادئة أكثر مما كنت أتوقع ، وقد أوت الى فراشها في
ساعة مبكرة ، لقد كانت تتعذب في صمت ..
وانتهت جلسة المساء بمشاجرة عنيفة ، مضحكة ، بين انجيلا
وامياس كريل بشأن إلحاقها بالمدرسة ، ولم يكن هناك ما يدعو امياس
الى إثارة هذا الموضوع بعد أن تمت جميع الترتيبات للذهاب انجيلا
الى المدرسة .. وقد بلغ من سخط انجيلا أنها ألقت بشقالة ورق على
امياس ، ثم أرسلت عليه وابلا من الدعوات الشريرة ، واندفعت الى
غرفة نومها باكياً



وفي صباح اليوم التالي ، وكان يومًا جميلًا مشرقًا ، وجدت ، بعد
طعام الإفطار ، جولة انجيلا ملقاة في غرفتها ، ممزقة فحملتها ورحلت
أبحث عنها لأجعلها ترتقها ، حتى تتعود على النظام والترتيب ورتق
ملابسها بنفسها ، وقد بلغت في بحثي عنها مزرعة المستر ميرديث
بليك ، لاني كنت أعلم أن انجيلا تعودت أن تمر الخليج بأجسد
الزوارق بمفردها وتذهب الى هناك لتأكل بعض ثمار التفاح
الناضجة .. ولما عدت دون أن أعثر عليها ، رأيت مسز كريل مع
المستر فيليب والمستر ميرديث في شرفة العصر ، وكانت مسز كريل
تقترح أن ترسل الى الاخوين بعض البيرة الثلجة ، وقد ذهبت مع
مسز كريل الى التلاجة الموضوعة في غرفة صغيرة بالطابق الاول ،
وهناك رأينا انجيلا تتناول من التلاجة زجاجة بيرة ، وكان يبدو على
وجهها أنها ارتكبت شيئاً .. وقد قالت لها مسز كريل :

أريد زجاجة بيرة مثلوحة لامضى بها الى امياس «
وامسكت انا بانجيلا وعنفقتها على هربها منى طوال فترة الصباح :
وطلبت منها أن ترتق الجوتلة ، والعجيب انها استسلمت لتعنيفى فى
خضوع واستكانة .. ولم تكن هذه طبيعتها .. ولكنها كانت مدركة
خطاها ، وكان واضحا على وجهها هذا الإدراك
ولما سألتها اين كانت ؟ قالت انها كانت تسبح فى الخليج ، فقلت
لها اننى لم أرها هنالك ، فضحكت وتناولت الجوتلة ووعدت
باصلاحها قورا ..

وحل موعد الغداء .. ولم يحضره كريل ..
وبعد الطعام وشرب القهوة ، قررت ان اذهب لاستحضار صديقية
انجيلا التى تركتها على الشاطئ بعد سباحتها مع المستر فليب
بليك .. وذهبت فى الممر مع المستر كريل التى قالت انها ذاهبة لتتظر
فيما اذا كان زوجها محتاجا الى شيء .. ولكنى ما كدت اتجاوز
باب حديقة البحر ، حتى سمعت صيححتها وهى تنادىنى ، فأسرعت
اليها حيث رايت امياس جثة هامدة فوق المقعد بجانب حامل الرسم ،
وطلبت منى مسز كريل أن استدعى طبيبا ، فغادرت الحديقة الى
الممر بسرعة ، وعندئذ التقيت بمستر ميرديث بليك فكلفته بمهمة
استدعاء الطبيب ، وعدت الى مسز كريل وانا اشعر انها احوج ما تكون
الى من يقف بجانبها فى تلك اللحظة
تلك هى قصتى ..

ولكن الشيء الذى أخفيه عن الجميع ، حتى عن مسز كريل
نفسها ، هو اننى رايتها ، عند عودتى الى الحديقة بعد ان كلفت
ميرديث بليك بمهمة استدعاء الطبيب ، أقول رايت مسز كريل
منهمكة فى ازالة بصمات الاصابع بمنديلها عن زجاجة البيرة ، ثم اذا
هى تمسك بيد زوجها الميت وتضغط بأصابعه على الزجاجاة .. كل
هذا وهى متحفزة ، ترهف السمع ، والخوف الشديد يبدو على
وجهها

هذه هى الحقيقة التى أخفيتها عن الجميع ، وهذا هو السبب
الذى جعلنى أومن تماما بأن كارولين قتلت زوجها ، ومع ذلك فانى
التمس لها العذر ، واحمل لها فى نفسى كل عطف واشفاق ، ويهمنى
ان تعرف كارلا هذه الحقيقة أيضا ، وذلك لكى تستريح وتنسى
المأساة تماما

الفصل الثانى عشر

انجيلا واربن مرة أخرى

عزيزى المسيو بوارو ..

اننى ابر بوعدى لك ، واكتب اليك بكل ما يتعلق بذاكرتى عن
ماساة اختى كارولين وزوجها امياس . والواقع اننى لم اكن اعرف
ضالة ما اذكره الا بعد ان بدأت الكتابة ..

ان ذكريات ذلك الصيف كانت غامضة .. واحداثه كانت متفرقة
.. وقد جاء مقتل امياس كضربة أصابت حياتى من حيث لا أدري
أو أتوقع .. ذلك انى كنت غافلة عما كان يجرى حولى من عواطف
وتيارات انسانية خفية ..

ولست أدري هل فتيات الخامسة عشرة كلهن هكذا .. يعشن
لانفسهن ، ولا يكدن يدرين تماما بما يجرى حولهن من مثل هذه
التيارات العاطفية الخفية !

كنت مهتمة فقط باللعب ، والسباحة ، وتسلق الاشجار لاقتطاف
الفاكهة ، واطعام الجياد ، وتدبير المقالب للخدمات ، وأحيانا لامياس
كريل نفسه ..

وكنت عدا هذا مشغوفة بقراءة الكتب والروايات والمجلات
ولعلك تسألنى عن شعورى نحو كارولين وامياس فى ذلك الحين ..
حسنا .. كان شعورا طبيعيا .. كنت أحب اختى كارولين كأعظم
ما يكون الحب بين أخت وأخت .. شقيقة أو غير شقيقة ، وكنت أميل
الى امياس .. وأحبه كاخ أكبر .. أو كوالد ، وذلك رغم المشادات
العنيفة التى كانت تقع بيننا كلما تمادى فى اغاظتى واثارتى
ولكنى ، فى الوقت نفسه كنت اغار على اختى منه ، وقد أدركت
الآن أنه كان أيضا يغار على زوجته منى

وعلى الجملة لم أكن أفكر فيهما أو في علاقتي بهما .. وإنما كنت أشعر بهما كما يشعر الإنسان بأهله وذويه

ولما أقبلت الزا في أول زيارة ، لم أحفل بها أو أشغل نفسي بأمورها .. فقد بدت لي من اللحظة الأولى أنها سوقية ، جاهلة ، بل انى لم أفكر في أنها جميلة .. وإنما كل ما شعرت به نحوها أنها فتاة ثرية مثيرة للملل والتفوق

ولم أعرف في الواقع حقيقة العلاقة بينها وبين أمياس إلا أثناء زيارتها الثانية ، الطويلة ، للقصر .. وقد كنت في الشرفة بعد الغداء يوما حين سمعتها تتحدث مع أمياس في غرفة المكتبة عن موضوع زواجها به .. وقد بدا هذا التصريح عجيبا غريبا ، ومن ثم انتهزت أول فرصة وسألت أمياس كريل في حديقة بيت ميرديث بعد الفراغ من تناول الشاي ، قائلة : « لماذا تقول الزا انها ستتزوج بك ؟ ان هذا مستحيل ، فلا يمكن للرجل أن يتزوج باثنتين ، ان هذا مخالف للقانون والشريعة اليس كذلك ؟ »

فغضب أمياس وقال بحدة : « كيف سمعت هذا بحق الشيطان ؟ »
« سمعتها وهي تحدثك في غرفة المكتبة »

فازداد غضبا ، وقال ان الآوان قد آن فعلا لالحاقى بالمدرسة، وأنه سيلحقني بها في أقرب فرصة حتى لا أسترق السمع - فقلت له بغضب اننى لم أكن أقصد أن أسترق السمع ، وأنه يتهمني بهذا ظلما .. وأخيرا ابتسم ، وقال ان ماسمعه لا يعدو أن يكون دعاية من جانب الزا

وقلت لالزا ونحن في طريق العودة الى المنزل بعد انتهاء زيارتنا للمسيتر ميرديث بليك : « لقد سألت أمياس عن معنى قولك له انك ستتزوجين به ، فقال ان الامر لا يعدو أن يكون دعاية »

وكنت أريد ان أغيظها وأثيرها .. ولكنها ابتسمت ، ولم تعجبني ابتسامتها

وذهبت الى كارولين في غرفتها حيث كانت تستعد للمهبط الى طعام العشاء ، وسألتها هل يمكن أن يتزوج أمياس بالزا ، وانى لأذكر اجابتها الحاسمة الاكيدة وكأنى اسمعها الآن : « ان أمياس لن يتزوج من الزا ، أو من غيرها الا بعد وقاتي »

وحدات اجابتها هذه من مخاوفي ، وأعادت الاطمئنان الى نفسى

ولكنى بقيت ساخطة على أمياس، وهكذا انتهزت فرصة اثارته لموضوع المدرسة ، فتشاجرت معه بعنف ، وصببت على رأسه مجموعة من الدعوات.. ثم اندفعت باكية الى غرفة نومي

ولست اذكر شيئا كثيرا مما حدث فى صباح اليوم التالى ، قبل المأساة .. اذكر فقط انى تجولت هنا وهناك ، وسبحت فى الخليج ، ولكنى اذكر تماما اسراع ميرديث الى الشرفة فى احتياج قائلا ان أمياس مات ، واذكر انفعال الزا وسقوط قدح القهوة من يدها وهى تطلق صيحة رهيبة ، ثم تسدو بسرعة عجيبة فى الممر الى حديقة البحر ، وكنت اردد لنفسى : « مات أمياس .. مات أمياس » دون أن أشعر بأن ماحدث حقيقة وليس حلما أو خيالا

واذكر أن القصر بعد ذلك ازدحم بأشخاص غرباء كثيرين ، وأنهم رفضوا أن أذهب لأرى أمياس وهو ميت ، ولكنى أسرعمت الى كارولين فى غرفتها حيث كانت راقدة على الارىكة ، ممتعة ، مريضة ، فلما رأتنى قبلتنى وطلبت منى أن أسرع بالابتعاد عن مسرح المأساة لأن مثل هذه الامور جد رهيبة بالنسبة لفتاة صغيرة مثلى ، ولكنى لم أكن مهتمة الا بحالة أختى ، وأخيرا أرسلونى الى حيث كانت تقيم كارلا الصغيرة مع جدتها اللبدي تريليان

ولست أنسى كيف ودعتنى كارولين فى حب وحنان وهى تطلب منى فى رجاء ولهفة الا أفكر فى الامر ، والا أحزن أو أقلق .. وكذلك لست أنسى اسئلة رجال البوليس لى قبل رحيلى .. ولكنهم لم يلحوا فى القاء الاسئلة على .. فقد كانت الجريمة ، بالنسبة اليهم واضحة كل الوضوح ..

وهكذا لم يجد المنشولون سببا يمنهم من التصريح لى بالذهاب الى اللبدي تريليان للاقامة معها حتى تنتهى المحاكمة

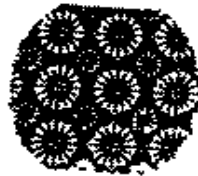
واستقبلتنى اللبدي تريليان فى حب وعطف واشفاق .. وبرغم حرص الجميع على اخفاء الحقيقة عنى ، فقد علمت أن رجال البوليس ألقوا القبض على أختى كارولين ، واذكر انى مرضت من فرط الفزع والحزن

وسمعت فيما بعد أن أختى كانت ، بعد القبض عليها ، شديدة القلق بشأنى ، وأنها هى التى أصرت على ترحيلى الى خارج انجلترا قبل المحاكمة ..

وقد أخبرتك بهذا كله
ومرة أخرى أقول اننى واثقة تماما بأن أختى لم ترتكب هذه
الجريمة ، أقول واثقة ، ولكنى لا أستطيع أن أقدم الدليل المادى على
براءتها !
فليرحمها الله ...



والآن ... ما رأى السادة القراء ؟
لقد وضعت المؤلفة بين أيديهم جميع الحقائق والملايسات المحيطة
بالجريمة ... أنها لم تخف عنهم شيئا ... فهل يمكن أن ينتصروا بعضهم ،
أو كلهم ، عليها فى هذه المباراة الممتعة ويعرفوا الحقيقة التى وصل
إليها بوارو ؟
لقد وصل بوارو الى الحقيقة ، بعد حصوله على هذه المعلومات التى
وردت فى الصفحات السابقة !



الفصل الثالث عشر

وبعد!!

رفعت كارالا لامرشانت ، ابنة كارولين وكريل ، رأسها عن الأوراق الموضوعة أمامها ، التي تحكى مأساة والديها فى تفصيل ووضوح ، ثم قالت بصوت متعجب :

— لقد اردت حيرة فوق حيرتى ، فان كل واحد من هؤلاء ينظرالى أمى من زاوية مختلفة ، ولكن الحقائق واحدة... وكلهم متفقون عليها! — هل ثبتت قراءتك لهذه التقارير من عزيزتك ؟

— نعم ... وأنت ؟

— لا ... لقد وجدت فى هذه التقارير كل ما أردت العثور عليه — ولكنى أتمنى لو أنى لم أقرأها ، فقد أصبحت الآن موقنة بادانة أمى

فنظر بوارو اليها برمة ، ثم قال :
— أوكذا ؟

— نعم ، انهم جميعا يعتقدون أن أمى مدانة ، فيما عدا انجيلا ، ولها العذر ، فهي أختها ، أما ميرديث ، فهو يحاول أن يخفى ادانة أمى على غير جدوى ... وكذلك لم تستطع انجيلا ، رغم ذكائها وقوة تفكيرها ، أن تقدم لنا سببا واحدا يبرر ايمانها ببراءة أمى

— أهذا هو ما استقر عليه رأيك بعد قراءة هذه التقارير ؟

— نعم ، وليس من شك فى أن هؤلاء الاشخاص الخمسة قداجمعوا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، على ادانة أمى ، لأنها اذا لم تكن هى

التي ارتكبت الجريمة ، فلا بد أن يكون مرتكبها واحدا منهم
فابتسم بوارو وقال :

— آه ... هذا رأي مشير ، وهل يمكن أن توضحيه لي ؟

— أستطيع فقط أن أقسم اليك احتمالات لادليل عليها ، فمثلا
فيليب بليك : انه سمسار مالى ، ركان من أخلص أصدقاء أبى . ومن
المحتمل أن يكون أبى قد اقترضه أو أودع لديه مبلغا ضخما ، والمعروف
أن الفنانين مستهترون دائما من الناحية المالية ، ولعل فيليب ، تحت
ضغط ظروف طارئة ، كان قد ضيع المال الذى اؤتمن عليه ، ولعله
قد جعل أبى يوقع على شيء ، ثم تطورت الاحوال وخشى فيليب من
الفضيحة ، التي لا نجاة منها الا بموت أبى ، هذه بعض الافكار التي
دارت برأسى عن هذا الاحتمال

واوما بوارو برأسه وقال :

— لا بأس ، والاحتمال الثانى ؟

— وهناك الزا جرير ... انها فتاة لا تتورع عن أى شيء ، ولعلها
تكون قد اختلست السم لكى تقتل به أمى حين أيقنت أنها لن توافق
على الطلاق من أبى بأية حال من الاحوال ... وفتاة مثل الزا لا تقبل أن
تعيش على هامش حياة رجل متزوج الى ما لا نهاية ... انها لا ترضى
بأقل من الزواج من هذا الرجل الذى تحبه ، ومن ثم فهي لا تكف عن
الحديث عن الزواج والمستقبل ... أقول انها اختلست السم لتقتل به
أمى ، فكانت النتيجة ؟ مات أبى بسبب خطأ ارتكبته دون أن تدرك

وابتسم بوارو وقال :

— وهذا احتمال لا بأس به أيضا ، والثالث ؟

— ميرديث ...

— ميرديث بليك ؟

— نعم ...

— حتى ميرديث بليك أدخلته فى نطاق احتمالاتك ؟

— ولم لا ؟ هل يوجد انسان فى هذه الدنيا معصوم من ارتكاب
جريمة قتل ؟ انه يبدو لي من النسوع الذى لا يتردد كثيرا فى ارتكاب

جريمة قتل .. فهو ضيق التفكير ، محدود الخيال ، بطيء ، متردد ، موضع ضحك وسخرية الغير ، ولعله ، فى أعماق نفسه ، يشعر بالسخط على هذا كله .. ثم تزوج أبى الفتاة التى كان يريدith يتمنى الزواج بها .. ونجح أبى فى حياته وظفر بالمال والشهرة .. وعمد ميرديث للتنفيس عن كبتة النفسى الى هذه الهواية الخطرة فى استخراج العقاقير والسموم من النباتات والاعشاب .. ولعله شغف بهذه الهواية لأنه كان يتمنى ، فى قرارة نفسه ، أن يقتل شخصا ما ذات يوم .. ولعله لفت أنظار الجميع الى سرقة السم حتى يبعد عن نفسه كل شبهة .. ولكن الواقع هو أنه أقرب الناس الى أخذ السم من معمله بنفسه .. بل لعله أراد ، أيضا ، أن يرسل بأمره الى حبل المشنقة جزاء تفضيلها أبى عليه .. ولعله كان يقصد التعبير عن نفسه فى كتابته عن الأشخاص الذين يرتكبون أشياء لم تكن متوقعة منهم ، وذلك عندما حاول أن يعلل يقينه بأن أبى مات منتحرا ..

.. انك على صواب فى هذه الناحية .. وهو أنه ليس من المحتم أن يكون كل ما كتبه الواحد منهم حقا لا شائبة فيه .. فلعل بعضهم عمد الى كتابة أشياء لتضليلنا عن الحقيقة

.. ان هذا هو أملى الاخير ، الوحيد .. ان كان ثمة مجال للامل بعد هذا كله !

.. هل هناك احتمالات أخرى ؟

.. خطر فى بالى أن مس ويليامز قد تكون هى القاتلة حتى لاتفقد وظيفتها .. ولكنى أستبعد هذا الاحتمال تماما .. فإذا كان بعض الناس يفقدون عقولهم ويرتكبون جرائم قتل بسبب قليل من المال ، فإن مس ويليامز ، كما يبدو لى من حديثك عنها ، ومن مذكراتها ، ليست بالسيدة التى تهتم بالمال الى حد ارتكاب الجرائم فى سبيله .. لا .. لم يبق أمامى الا أن أستسلم للامر الواقع .. فإن هذه الاحتمالات كلها تكاد تكون فى حكم المستحيل .. نعم .. لقد آمنت الآن ان امى ليست بريئة كما اظن ، وانه لم يبق أمامى الا ان افسخ خطبتى

وتهدج صوت كارلا قليلا ، وهى تستطرد قائلة :

.. نعم .. لا تتمجب يامسيو بوارو .. اننى لا أستطيع أن أتزوج

وهذا السيف الرهيب وصلت على رأسى .. لا أستطيع أن أحتمل أن ينظر الى الرجل الذى أحبه فى شئ من الخوف والحسدر اذا تشاجرنا يوما .. خير لى ، أنا الابنة الوحيدة للرسام كريل الذى قتلته زوجته .. أمى .. أن أمجر العالم ، وأقضى أيامى فى الدير ، استغفر الله لهما ، وأقطع ، بموتى ، تسلسل ذريتهما على سطح هذه الارض ..

فنظر اليها بوارو برهة ، ثم قال :

— اذن فقد اقتنعت أخيرا بالحقيقة ؟

فازداد صوتها تهدجا وقالت :

— نعم .. وانى مقدرة لك كل ما بذلت من جهد فى هذا السبيل ، ولن أضن عليك بأى قدر من المال مكافأة لك

فنظر بوارو اليها مرة أخرى ، ثم هز رأسه وقال :

— أن مكافأتى الحقيقية هى العمل على تبرئة سيده مظلومة !

— ماذا تعنى ؟

— أعنى أنك تريد أن تخرجى من المعركة فى اللحظة التى وضعت لى فيها الحقيقة كاملة ..

— لست أفهم تماما ماذا تعنى يامسيو بوارو ..

— أعنى أنتى — هيركيول بوارو — قد عرفت من تحسرياتى مع الاشخاص الخمسة الذين شهدوا المأساة ، ومن كتاباتهم ، أن والدتك كانت مظلومة !

فهزت كارلا رأسها فى يأس وقالت :

— أتقول هذا بعد أن ذكرت مس ويليامز بوضوح أنها شاهدت أمى وهى تزيل بصمات أصابعها من زجاجة البيرة ، وتطبع عليها بصمات أبى وهو ميت ؟

وصمتت برهة قبل أن تستطرد قائلة :

— لو أن الذى ذكر هذه الحقيقة شاهد آخر ، لاتهمته بالكذب ، ولكن مس ويليامز كانت تحب أمى حتى آخر لحظة ، وقد وقفت فى صفها ، وأخفت هذا الدليل الحاسم عن القضاة ، فهل يمكن أن نشك فى أقوالها ؟

فقال بوارو :

— انتهى آخر من يشك في أقوال مس ويليامز في هذا الشأن
بالقوات !

— عجباً ! ..

وعندئذ نهض بوارو وقال :

— اسمعي يا مس كارلا ، أن رؤية مس ويليامز لأمك ، هي قزيل
بصمات أصابعها عن زجاجة البيرة ، لتطبع عليها بصمات أصابع
أبيك ، هي الدليل الحاسم ، الذي جعلني أومن بأن أمك لم ترتكب
هذه الجريمة !

ثم غادر القرفة ،

وظلت كارلا واقفة نشيعة بنظراتها في دھول ودعشة وعجب



الفصل الرابع عشر

بوارو يأل

ذهب هيركيول بوارو الى فيليب بليك وقال له في همدوء ورقة :
— لقد جئت لاشكر لك ما بذلته من جهد في كتابة ذكرياتك عن
مأساة صديقك امياس كريل ، الواقع انك اوضحت لى كثيرا من
التواحي التى كانت غامضة

فقال فيليب ، وهو يشعر بالرضا عن نفسه :

— الواقع انى دهشت حين وجدت الذكريات تنهال بسرعة وقوة ،
بمجرد ان بدأت الكتابة !

— نعم .. نعم .. ولكن هذا لا يمنع من القول انك لم تذكر
كل شيء !

فقطب بليك جبينه وقال :

— لم اذكر كل شيء ؟

فقال بوارو :

— ان روايتك لما حدث تمتاز بالصراحة والوضوح ... ولكن !

ثم اردف بوارو فى صوت لا يخلو من جفاف :

— لقد قيل لى يامستر بليك ان مسز كريل شوهدت ، مرة
واحدة على الاقل ، وهى تخرج من غرفتك فى ساعة متأخرة
من الليل ! ..

وخيم الصمت على الغرفة ، وراح فيليب بليك ينظر فى حيره
وغضب ودهشة الى بوارو ، ثم قال اخيرا :

— من قال لك هذا ؟

فهر بوارو راسه وقال :

... ليس من المهم أن تعرف من الذى أخبرنى . ولكن المهم هو
اننى اعرف هذه الحقيقة

ومرة اخرى خيم الصمت ، وبدأ فيليب فى سمت الرجل الذى
يقرر فى نفسه امرا ، واخيرا قال :

... يبدو أنك عرفت مسألة خاصة من طريق المصادفة ، وايا كان
الامر ، فانى اجد نفسى مضطرا لأن اخبرك بالحقيقة .. الحقيقة
التي حاولت اخفائها من سطور حكايتي

وهو كتمه ثم اردف قائلا :

... اننى لا انكر شعورى العدائى نحو كارولين ، ولكنى ، فى
الوقت نفسه ، كنت مفتونا بها ، ولعل هذه الحقيقة هي التي دفعت
بعضهم الى اخبارك بهذا الذى قلته لى الآن ، وهذه الحقيقة ايضا
هي التي كانت تجعلنى اشعر دائما بالثورة على نفسى وعلى خضوعي
لجاذبيتها ، ومن ثم كنت دائما احاول أن اتمسك لها الاخطاء واضخم
لها العيوب حتى تصغر فى عيني ، وتخف وطأة سحرها على .
وأرجو أن تفهم اننى لم احبها يوما هذا الحب الروحي المقدس ، وانما
كنت مفتونا بجاذبيتها ، وكنت أخشى فى اية لحظة ان اهبط بمشاعري
فأراودها عن نفسى .. وجملة الحقيقة هي اننى احببتها وانا فى مية
الصبا والغيب ، ولكنها لم تكن قبالي بى ، او تشعر بوجودي ،
وقد عشت حياتي كلها وانا لا اغفر لها هذا الموقف

وصمت فيليب برهة قبل أن يستطرد قائلا :

... وحانت فرصتي عندما استغرق امياس الى اذنيه فى حب هذه
الفتاة الزا جرير ، واذا انا اجد نفسى اصالح كارولين بحبي لها ،
واذا هي تقول بهدوء : «نعم يا فيليب ، لقد كنت اعرف دائما أنك
تحبنى !» فيالها من امرأة رهيبة ، كانت تعرف دائما انى احبها
دون أن تحفل بأمري ، أو تهتم بمشاعري !

ومرة اخرى صمت فيليب وقد بدت اشد امارات الحقد على
وجهه ، ثم استأنف حديثه قائلا :

... نعم .. كنت اعرف انها لم تشعر بالحب نحوي يوما .. ولكنى
لاحظت بوضوح مبلغ ما كانت تشعر به من قلق وسخط وغضب
وثورة بسبب موقف امياس من تلك الفتاة الزا .. واذا استبدت
مثل هذه المشاعر بالزوجة فمن السهل التغلب على مقاومتها ..

وهكذا رضيت بزيارتي ليلا في غرفتي بالقصر . . وجاءت ولكنني
ما كدت أحيطها بذراعي حتى تخلصت مني وقالت بهدونها القاتل
انه لا فائدة من هذا كله . . وانها امرأة دجل واحد ، امرأة اذا
احبت رجلا ، فلن تستطيع ان تحب غيره مهما يكن الحال ، وانها
ستبقى على حب امياس سواء بقي زوجها لها او تزوج من غيرها .
ثم اعترفت انها عاملتني بقسوة واساءت الي بقبولها الحضور الى
غرفتي ، ثم امتناعها علي . واعتذرت بانها لا تملك من امر قلبها
شيئا ، وطلبت مني ان اصفح عنها ، ثم انصرفت عني ، فهل تعجب
بعد هذا يا مسيو بوارو اذا قلت لك ان كراهيتي لسكارولين قد
بلغت الذروة ، وانني لم اصفح عنها او اغفر لها هذه الاهانة التي
رجعتها الي عواطفني ، هذا عدا قتلها لاخلص صديق الي

وارتعد فيليب فجأة ، وقال بمنف :

— انني لا اريد الاقضية في هذا الحديث ، لقد اجبت على سؤالك ،
فهل انصرف عني !



وذهب بوارو للمستتر ميرديث بليك وقال له :

— أرجو يا مستتر ميرديث بليك أن تذكر لي ترتيب خروج ضيوفك
من غرفة العمل في ذلك اليوم
فاحتج ميرديث قائلا :

— ولكن ، كيف أستطيع ان أتذكر هذا يا مسيو بوارو ، بعد
مرور ستة عشر عاما ؟ يكفي اني قلت لك ان كارولين كانت آخر من
غادر الغرفة

— هل انت واثق من هذا ؟

— نعم . . . على الاقل

— هلم تمضي الى غرفة العمل لتستعيد ذكرياتك ، فاننا نريد أن
نتأكد

وهناك في غرفة العمل ، قال بوارو :

— والآن يا مستتر بليك ، لقد حدثت ضيوفك عن هوايتك ، ثم
بدأوا ينصرفون . اغمض عينيك وحاول أن تتذكر ترتيب خروجهم
وأطاع ميرديث ، واغمض عينيه ، وتناول بوارو منديل جيبه ،
وراح يلوح به أمام وجهه ، وغمغم ميرديث وهو يستنشق الرائحة
المنبعثة من المنديل :

— نعم .. نعم .. عجيب أن تتضح الذكريات أمام ذهني هكذا ،
أتى اذكر كارولين ، كانت ترتدي ثوبا في لون القهوة الخفيفة ، وكان
فيليب يبدو ملولا ، هكذا كان دائما كلما سمعني اتحدث عن هوايتي
وقال بوارو :

— تذكر الآن ، انكم توشكون على مغادرة العمل الى المكتبة ، لتقرا
عليهم الفصل الخاص بموت سقراط ، فمن الذي غادر الغرفة أولا ؟
— الزا وأنا .. نعم .. لقد اجتازت الباب أولا وأنا وراءها ..
كنت اواصل الحديث معها ، ثم وقفنا خارج الباب ننتظر خروج
الباقين حتى أغلق الباب بالمفتاح .. فيليب .. نعم غادر فيليب
الغرفة بعدنا ، ثم .. انجيلا ، ثم امياس .. وبقيت انتظر خروج
كارولين

— اى اذك وأتق تماما بأنها كانت آخر من غادر الغرفة ، فهل رأيت
ماذا كانت تفعل بها ؟
— لا .. لقد كنت واقفا وظهري الى الباب اتحدث الى الزا والير ،
— ولا شك — الملل في نفسها بحديثي .. ثم أقبلت كارولين .. مسرعة
واغلقت الباب بالمفتاح ..

وتوقف عن الحديث ، وفتح عينيه ، ورأى بوارو وهو يعيد
المنديل الى جيبه ، وتشمم الهواء برهة ، ثم قال لنفسه : « عجيبا ..
ان الرجل يضع في منديه عطرا »
ثم قال بصوت مسموع :

— اتنى وأتق من هذا الترتيب .. الزا أولا .. ثم انا .. ثم
فيليب .. ثم انجيلا .. ثم امياس .. واخيرا كارولين .. فهل
هذا يوضح شيئا ؟
فقال بوارو :

— نعم ، يوضح كل شيء ، اسمع يا ميستر بليك ، اتنى سادعو
الباقين للاجتماع هنا ، في هذه الغرفة ... فهل لديك اعتراض ؟
— لا ... مطلقا ، ولكن لماذا ؟
— لنعرف الحقيقة كلها !



ثم ذهب الى الزا وسالها :
— أرجو أن تسمح لي بإلقاء سؤال واحد يا ليندى ديتشام :
— اسأل ...

— بعد أن انتهى كل شيء ، بعد المحاكمة وصدور الحكم ، هل طلب ميرديث الزواج منك ؟
فحدثت الزا ديتشام النظر في وجه يوارو ، ثم ارتسمت على وجهها امارات السأم والاحتقار ، وقالت :
— نعم ، طلب أن أتزوج به . . . ولكن لماذا تسأل ؟
— وهل ادهشك هذا الطلب ؟
— ادهشني ؟ اننى لا اتذكر !
— بماذا أجبت عليه ؟
— بماذا تظن انى سأجيب عليه ؟ أيعقل أن أتزوج ، بعد فرامى بأمياس ، برجل مثل ميرديث ؟ ان هذا الامر يشير السخرية والضحك ، لقد كان أحق في طلبه الزواج بى ، وهو دائما غبى أحق وابتسمت في شحوب وقالت :
— لقد أراد أن يحمينى ويرعانى ، هكذا قال ، ظن ان الراى العام كله ضدى ، وأنه لم يعد لى مجال للحياة في هذا البلد . . . ولكن المسكين لم يكن يعرف انى كنت أستمتع بما حدث ، ولم يكن يهمنى رآى القوغاء عنى !
وضحكت الزا مرة أخرى عاليا !



وأجابت مس ويليامز على سؤال يوارو بشأن اصابة انجيلا على يد اختها قائلة :
— لست انجيلا ذات يوم خدتها المشبهه ، وقالت : « ان كارولين هى التى فعلت هذا ، ضربتنى بشقالة ورق وأنا طفلة صغيرة جدا ولكن ، لا تشيرى الى هذا الموضوع امامها لأنها تضطرب جدا كما تذكرته »
فقال يوارو :
— ولكنى سمعت ، او عرفت ، أثناء تحرياتي انها ضربتها بقضيب حديدى
— اننى لا اعرف عن هذا شيئا
— ألم تشر مسز كريل ذات مرة الى هذا الموضوع في احاديثها معك ؟
— كانت تشير اليه بطريقة غير مباشرة ، على أساس اننى اعرف

كل شيء عنه ، وأذكر أنها قالت لي مرة : « أنا أعرف ، أنك تظنين
أننى أفسد انجيلا بتدليلي لها واسرافي في تلبية رغباتها ، ولكننى
أشعر دائما بأننى مهما فعلت لها ، فلن أستطيع أن أعوضها عن
تشويهي لوجهها » . وقالت في مناسبة أخرى : « ليس هناك
عذاب أشد من احساس الانسان بأنه السبب المباشر في اصابة
شخص آخر بعاقة مستديمة »

فقال بوارو :

... شكرا يا مس ويليامز ، هذا هو كل ما أردت أن أعرفه !

فقالت مس ويليامز بحدة :

... اننى لا أفهمك يا مسيو بوارو ، ألم تطلع كارلا على تقريرى عن
الأساة ؟

... نعم ... أظلمتها

... ومع ذلك ما زلت تعتقد أن ...

فقاطعها بوارو قائلا :

... أن الظواهر كثيرا ما تكون خادعة !

... ولكن الحقائق لا يمكن ..

... أنك قد ترين بقية من الورد الأحمر العاطر في غرفة استقبال
أحد الأغنياء في شهر يناير ، فتحسبونها ورودا اصطناعية ، بينما
هى ، في الواقع ، حقيقية جئء بها في الطائرة من جنوب افريقيا !

... ولكن ما دخل هذا القو كله في موضوعنا ؟

... أريد أن أبين لك أن الانسان في الحقيقة يرى بعينى عقله !

وانصرف بوارو ، تاركا مس ويليامز أشد ما تكون حيرة ازاء هذه
الانفار !



واستقبلت انجيلا وارين هيركبول بوارو في مودة وترحاب، وقالت:

... هل استطعت أن تكتشف جديدا في الموضوع ؟

فاوما بوارو برأسه وقال :

... يمكننى أن أقول اننى في الطريق الى الحقيقة اخيرا ...

فتساءلت قائلة بصوت فيه من نبرات الشك أكثر مما فيه من

ببرات اليقين :

... فيليب بليك ؟

وهز بوارو كتفيه وقال :

— اننى يا مس واربن لا أريد الآن أن أقول شيئاً ، أن الوقت لم
يحن بعد لكشف الحقيقة كلها ، وكل ما أرجوه منك أن تتكرمى
بالخضور الى منزل مستر مرديث فى ضيعة هاندكروس ...
وسينحضر الجميع هناك ..

فقطبت جبينها وقالت :

— ماذا تنوى أن تفعل ؟ أعتقد أن فى مقدورك إعادة الموقف الى
ما كان عليه منذ ستة عشر عاماً ؟
فاوما برأسه وقال :

— ربما استطعت أن أرى الموقف من زاوية أوضح ... هل
ستحضرين ؟
فقال فوراً :

— نعم .. سأحضر ، فمن الطريف أن أرى كل هؤلاء الناس مرة
أخرى بعد كل هذه المدة الطويلة ... وعلى أراهم ، كما قلت ، من
زاوية أوضح
فقال بوارو :

— هل ستحضرين معك الخطاب الذى اطلعتنى عليه ، الخطاب
الذى أرسلته اليك أختك عقب صدور الحكم عليها ؟
فقطبت انجيلا جبينها وقالت :

— أن هذا الخطاب من خصوصياتى ، وقد اطلعتك عليه لأسباب
أوضحتها لك ، ولكننى لست مستعدة لأن يقرأه أشخاص غرباء لا
يفهمون ولا يقدرّون

— ولكنك ستسمحين لى بتوجيهك فى هذا الموضوع !

— اننى لن أفعل شيئاً من هذا القبيل ، ولكننى سأحضر معى
الخطاب على سبيل الاحتياط ، فإذا وجدت ما يدعو الى قراءته ، فلن
أمانع !

فبسط بوارو يديه مستسلماً وقال :

— إذن اسمحى لى أن ألقى عليك سؤالاً واحداً
— ما هو ؟

— هل كنت تقرأين في أيام المأساة رواية سومرست موم «القمر
وستة بنسات» ؟ (١)
فارتسمت الدهشة البالغة على وجه أنجيلا وقالت :
— عجباً ! كيف عرفت هذا ؟
فابتسم بوارو وقال :
— أردت أن أبين لك أنني رجل شديد الذكاء ، أستطيع أن أعرف
الأشياء دون أن يخبرني بها أحد !

(١) ترجمت روايات الهلال هذه الرواية ونشرتها بعنوان « قلب المرأة »

الفصل الخامس عشر

الاجتماع الأخير

كانت اشعة شمس الاصيل تنساب الى غرفة العمل من نافذتها الغربية ، وكانت ثمة مقاعد وثيرة قد صفت بها لتستقبل المدعوين للاجتماع !

وكان ميرديث يتحدث الى كارلا في شيء من الاضطراب ، وهو يعبث بشاويه ، ثم اذا هو يتوقف فجأة ويقول :

— اوه ، انك يا عزيزتى تشبهين والدتك في جوانب كثيرة ، ولكنك تختلفين عنها في جوانب أخرى

فقالت له كارلا :

— فيم اشبهها ، وفيم اختلف عنها ؟

فتردد ميرديث برهة قبل أن يقول :

— انك تشبهينها في لون البشرة ، وفي الحركة... ولكنك تخالفينها في انك اكثر واقعية وادراكا لحقائق الحياة منها

وكان فيليب بليك ينظر بمقطب الجبين من النافذة الى المروج الخضراء ، وينقر في ضيق ، وتوتر عصبي على المصراع ، ثم يقول :

— ما معنى هذا كله ، ان الجو اليوم رائع ، وكان ينبغي أن تقضى هذه الفترة في لعب الجولف بدلا من الجلوس في هذه القسرة المهجورة

فاسرع بوارو يقول :

— اوه... اننى آسف يا مستر بليك ، حقا ان الجو اليوم رائع للعب الجولف ، ولكن هذه هي كارلا ، ابنة أعم صديق لك ، واعتقد

تماما انك لا تتردد في تقديم أية مساعدة لها
وعندئذ أقبل الخادم وقال :
- حضرت مس وارين ..
ونهض ميرديث لاستقبالها قائلا :
- جميل منك يامس وارين أن تشرفينا بالحضور ، رغم مشاغلك
الكثيرة فلا شك أن وقتك دائما مشغول بمهام الأمور
وسار معها نحو النافذة
ونهضت كارلا وهي تهتف في سرور :
- هالو خالتي انجيلا ، قرأت مقالتك في صحيفة التايمز هذا
الصباح ، جميل جدا أن يكون للانسان خالة مشهورة مثلك
ثم اشارت الى شاب طويل ، عريض الفكين ، رمادي العينين ،
هاديء السميت وقالت :
- هذا هو جون راثيرى ، الذى أرجو أن يتم زواجى به
وتتمت انجيلا قائلة :
- أوه ... لم أكن اعرف ...
ومضى ميرديث لاستقبال مس ويليامز التى بدت عند الباب ،
فصافحها في حرارة قائلا :
- أوه مس ويليامز ، لقد انصرفت أعوام عديدة منذ تقابلنا آخر
مرة ...
وتقدمت مس ويليامز بجسمها النحيل الطويل ، وعينيها المركبتين
على بوارو ، ثم اذا هى تلتفت الى الشاب جون راثيرى وتتأمله
واسرعت انجيلا وارين اليها وقالت لها باسمه وهى تصافحها :
- تصورى يامس ويليامز اننى اشعر الآن كأنى مازلت تلميذة
امام مدرستها الحبيبة الحازمة !
فقال مس ويليامز بصوت يشم عن السرور والحماس :
- اننى جد فخورة بك يا مس وارين ، لقد شرفتني ورفعت
راسي عاليا ، اذ حسب الانسان سرورا ورضا أن يكون له تلميذة
رائعة مثلك
ثم التفتت الى كارلا واردفت قائلة :

— اعتقد ان هذه كارلا ، آه ... انها لاتذكرنى طبعاً ، فقد كانت
جد صغيرة

واستدار فيليب بليك وقال متجهما :

— ما هذا كله ؟ ان احدا لم يخبرنى بأن ...

واسرع هيركيول بوارو قائلاً :

— آه ، معذرة يا مستر بليك ، اننى اسئ هذا الاجتماع «رحلة
الى الماضى » ، تفضلوا جميعاً بالجلوس ، وسوف نبدا الاجتماع
بمجرد وصول العضو الاخير ، الليدى الزا ديتشام ، وعندما تصل
سوف تظهر الارواح !

فقال فيليب :

— ما هذا الهراء يا مسيو بوارو ، هل هى جلسة تحضير ارواح ؟
— لا .. لا .. ليس هذا ما اعنى ، ولكنى اعتقد ان حديثنا عن
الماضى ، وتبادلنا الاراء فيما حدث بشأن تلك المأساة الاليمة ،
سيؤدى الى استحضار روح امياس كريل ، وروح زوجته كارولين
فى هذه الغرفة دون ان نراهما ، ولكن من المؤكد اننا سنشعر بهما

فهتف فيليب قائلاً :

— كلام فارغ !

وتوقف فجأة عن الحديث العنيف حين فتح الخادم الباب وقال :

— ليدى ديتشام

واقبلت الزا الى الغرفة فى جراحة ووقاحة واستهتار ، واومات
براسها فى ابتسامة خفيفة الى ميرديث ، وارسلت نظرة باردة الى
انجيلا وارين ، ثم الى فيليب ، ثم مضت الى مقعد منفرد عن بقية المقاعد ، بالقرب
من النافذة ، وخلعت معطفها الفراء الثمين ، ثم تلفتت برهة فى
جوانب الغرفة ، هذا بينما كانت كارلا تتأمل هذه المرأة التى كانت
السبب المباشر فى وقوع المأساة ... المأساة التى حرمتها من ابنيها
ولعلخت اسم امها بالجريمة والعار

ولكن لم يكن فى نظراتها اية امارات للحقد ، العدا

وقالت الزا فى برود :

— اننى آسفة اذا كنت قد تاخرت قليلاً يا مسيو بوارو

فابتسم بوارو وقال :

— ان مجرد حضورك شرف كبير

واصدت مس ويليامز من انفها صوتا ينم عن الاحتقار والسخرية، ولكن الزا لم تكتثر بشيء من هذا ، وانما قالت موجهة الحديث هذه المرة الى انجيلا :

— كدت الا اعرفك يا انجيلا ، كم مضى من السنين على . . على . . آخر اقاء ؟ ستة عشر عاما ؟

وانتهز هيركيول بوارو هذه الفرصة وقال :

— نعم ، مضى ستة عشر عاما على هذه الاحداث التى سنتناولها الان بالشرح والتفصيل ، واحب اولا ان اوضح لكم السبب فى هذا الاجتماع

وفى كلمات قليلة واضحة ، ذكر لهم المهمة التى كلفته بها كارلا لامرشانت، وقبوله القيام بها رغم صعوبة البحث والتحرى عن جريمة وقعت منذ ستة عشر عاما ، وصدر فيها الحكم بالادانة

وكان يتحدث بسرعة ، متجاهلا نورة الغضب التى كانت تتجمع على وجه فيليب ، وامارات الاستعزاز التى نم عليها وجه ميرديث وكانما كان كل منهما يقول له : « ايها الكاذب الملقق . . الخبيث ! »

وكان بوارو قد اختتم حديثه قائلا :

— نعم . . قبلت القيام بهذه المهمة للبحث من الحقيقة



وكانت كارلا لامرشانت ، ابنة كريل وكارولين ، جالسة فى مقعد ولير ، تسمع صوت بوارو وكأنه آت من بعيد . . . وتتأمل وجوه الاشخاص الخمسة المجتمعين فى الغرفة ، كما سبق ان اجتمعوا مع ابيها وامها ، منذ ستة عشر عاما

كانت تتأمل وجوههم وهى تظلل عينيها بيدها ، وكانت تتساءل: هل يمكن ان يكون احدهم هو القاتل : الزا المستهتر ، ام فيليب الغاضب ، ام ميرديث الهادى ، ام مس ويليامز الخازمة ، ام انجيلا الثابتة الرزينة ؟

هل تستطيع هى ، مهما حاولت ، ان تهتدى الى القاتل الحقيقى بين هؤلاء الاشخاص الخمسة الذى شهدوا المأساة ؟

هذا طبعا اذا لم تكن امها هي المذنبة !
لا ، ليس هذا ممكنا بعد ان رأت هؤلاء الاشخاص راي العين
من المحتمل ان يقتل فيليب بشخصا في ساعة غضب ، ان يخنقه
بيديه

ومن المحتمل ان يهدد ميرديث لصا يقتحم بيته ، بمسدس فارغ
من الرصاص ، او من المحتمل ان يطلقه عليه ، رغما عنه
ومن المحتمل ان تطلق انجيلا مسدسها فعلا في حالة الدفاع عن
النفس ، دون تردد او خوف

ومن المحتمل ان تجلس الزا على هودج شرقي ، ثم تطلب من العبيد
ان يلقوا بأحد المذنبين الى البحر ، بعد ان يقيدوا يديه وقدميه
أما مس ويليامز ، فانك اذا سألتها : « هل قتلت شخصا ما يامس
ويليامز ؟ » فانها على الأرجح ستجيب عليك قائلة : « التفت
لدروسك ، وحاول ان تحل مسألة الحساب خلا صحيحا ، وحذار
ان تسأل مرة اخرى مثل هذه الاسئلة الشريرة »
وقالت كارلا لنفسها :

« يبدو اننى مخطئة اشد الخطا ، يبدو انى واهمة .. يجب ان
اطلب من هذا الرجل بوارو ان يتوقف عن الحديث في هذا الموضوع ،
فليس من المعقول ان يكون بين هؤلاء مجرم رهيب »
ولكن بوارو كان قد بدأ الحديث في صميم الموضوع ، وكان
يقول :

— هذه هي المهمة التى كلفت بها ، ان اعد ادراجى عبر السنين ،
لاكتشف حقيقة ما حدث و ...
وقال فيليب بليك :

— ولكننا ، هنا ، نعرف جميعا حقيقة ما حدث ، واذا حاول احدا ان
يزعم غير هذا فهو مخطيء .. نعم ، انك تأخذ مبالا من هذه الفتاة
بغير مقابل ، هذه حقيقة لا جدال فيها ، انه نوع من الاحتيال
والتفريز

وأبى بوارو ان يغضب ، ومن ثم قال :
— انك تقول انكم جميعا تعرفون حقيقة ما حدث ، والواقع انك
تلقى بهذا القول في غير تفكير ، فليس من الضروري ان يكون كل ما قيل

عن حقائق المأساة صادقا تماما ، والدليل على هذا ، يا مستر بليك ،
أنك ذكرت في تقريرك بوضوح أنك تكره كارولين ، وتحقد عليها ...
فهل أنت صادق في هذا القول ؟ أن أى مبتدئ في علم النفس يعرف
أن الحقيقة هي العكس ، وأن حقدك عليها نابع من رغبتك فيها ...
من حبك المادى لها . لقد كنت دائما مفتونا بها ، خاضعا لجاذبيتها ،
وكنت نائرا على هذا الافتتان وهذا الخضوع ، وكثيرا ما بذلت الجهد
لمقاومة هذه الرغبة العارمة نحوها . وبسبب هذه الرغبة في المقاومة ،
ظلت توحى لنفسك بأنها امرأة شريرة ، خبيثة ، كثيرة العيوب ،
متعددة الأخطاء ، جذيرة بكراهيتك ، لا بحبك . وكذلك كان الأمر مع
إخيك ميرديث ، ولكن بطريقة مختلفة : كان ميرديث متفانيا في حب
كارولين ، وقد حاول في تقريره أن يعبر عن هذا الحب بطريقة غير
مباشرة . . . أى عن طريق التنديد بأخطاء أمياس كريل وسوء تصرفاته
معه ، وقسوته عليها . . . ولكن ، إذا نحن أمعنا النظر في تقريره ،
لأدركنا من بين السطور ، أن حبه لكارولين كان قد بدأ يخمد ويتلاشى ،
ليحل محله حب آخر : حب الفتاة الصغيرة الجميلة الزا ، كان الواضح
من تقريره أن الزا هي التي كانت تملا عليه فكره وقلبه

وغمض ميرديث بكلمات غامضة ...

وابتسمت الزا ديتشام ...

واستطرد بوارو يقول :

— اننى اذكر هذه الحقائق على سبيل المثال ، وأن كانت لها دلالاتها
عن المأساة ذاتها ... حسنا ، لقد رحلت عبر السنين الى أحداث
هذه المأساة منذ ان كلفتنى من كارلا بهذه المهمة ، تحدثت مع مفتش
البوليس الذى تولى التحقيق ، وتحدثت مع الأشخاص الخمسة الذين
شهدوا المأساة ، واستلمت تقاريرهم المكتوبة ، اعنى تحدثت اليكم
واستلمت تقاريركم . وقد استطعت من هذا كله أن ارسم صورة
واضحة لكارولين ، قبل المأساة ، وبعدها . . . وفهمت من هذه
الصورة ، أن كارولين ، بعد وقوع المأساة كانت مستعدة للموت ،
مرحبة به ، رغم تكرار القول بأنها بريئة . ولكنها كانت في رأى
الجميع ، غير بريئة !

فقال فيليب :

— نعم . . . هذه هي الحقيقة ، ان جميع القرائن الحاسمة تدل على ادانتها

فهز بوارو كتفيه وقال :

— ولكنني ، شخصيا ، لست ملزما بقبول قرارات الغير في هذا الشأن . كان واجبي يحتم على فحص هذه القرائن والادلة بنفسى . كان على ان اختبر هذه الحقائق وافحصها لارضى ضميرى ، ولهذا السبب قمت بتحريرياتى مع مفتش البوليس الذى تولى تحقيق الجريمة ، ومع الاشخاص الخمسة : معكم انتم ، يا من كنتم موجودين اثناء وقوع المأساة . وقد كتبتم مشكورين تقاريركم عنها ، واستطيع ان اقول انى عثرت فى هذه التقارير على ما كنت ابحث منه ، كنت ابحث من تفاصيل بسيطة غفل عنها رجال البوليس لفرط بساطتها ، ورغم اهميتها ، وهذه التفاصيل البسيطة الهامة هى : اولا : احاديث معينة ، وتصرفات خاصة اعملها رجال البوليس على انها غير ذات اهمية ، وثانيا : آراء بعض الشخصيات المحيطة بكارولين عن تفكيرها ومشاعرها ، وانا اعترف ان المحكمة ما كانت تعتمد على هذه الآراء من الناحية القانونية ، ثالثا : حقائق معينة اخفيت عمدا عن رجال البوليس

وصمت بوارو برهة ، قبل ان يستطرد قائلا :

— ولكنى الآن فى وضع يتيح لى الحكم فى الموضوع بنفسى . . وانا لا انكر انه كان هناك الدافع القوي الذى يبرر ارتكاب كارولين لجريمة قتل زوجها ، فقد كانت تحب زوجها حبا جنونيا ، واعترف هو امامها بصراحة انه سيهجرها من اجل امرأة اخرى ، واعترفت هى انها زوجة شديدة الفيرة

واذا انتقلنا من دوافع الجريمة الى الوسائل ، وجدنا انه عثر على زجاجة فارغة كانت تحتوى على سم الكونين فى درج خزانة ملابسها ، وانه لم يوجد على هذه الزجاجة بصمات اصابع احد غير بصماتها هى ، ولما سئلت عنها اثناء التحقيق ، اعترفت انها اخذت سم الكونين من هذه الغرفة التى نجلس فيها الآن . . . وزجاجة الكونين التى كانت هنا ، كانت عليها ايضا بصمات اصابعها ، اى انها صادقة فى هذا الاعتراف . ولما سألت المستر ميرديث عن ترتيب خروجكم من هذه الغرفة يومذاك ، قال ان كارولين كانت آخر من غادرها ، وأهم من هذا

انه كان هو موليا ظهره اليها ، مشغولا بالحديث مع مس الزا جرير ،
اى انه كان من المستحيل عليه ان يعرف ماذا كانت تفعل كارولين في
الغرفة قبل خروجها ، معنى هذا ان الفرصة كانت سانحة لها لكي
تختلس كمية الكونين ، وانا ، من هذه الناحية ، مطمئن تماما انها ،
فعلا ، اخذت كمية من السم ... من هذه الغرفة ...

ومرة اخرى صمت بوارو ، فقال فيليب :

— اليس هذا الدليل وحده يكفي على ادانتها ؟

فابتسم بوارو وقال :

— مهلا يا مستر بليك ، لسوف نتابع الموضوع خطوة خطوة حسب
ما ورد في تقاريركم اتم ... اننى لن اقحم معلومات جديدة ليس لها
اساس في هذه التقارير ...

ثم نظر الى ميرديث وقال :

سمن الطريف في هذا الموضوع ، اوفى هذه النقطة بالذات ، ان المستر
ميرديث ذكر لى اثناء حديثه عنها ، انه كان يشم رائحة الياسمين
تنساب من اشجار الياسمين النامية وراء النافذة ، وقد نسى ان
الحادث وقع في شهر سبتمبر ، اى في شهر لا يمكن ان تتفتح فيه
ازهار الياسمين ، ولكن الياسمين الذى شم رائحته في ذلك الحين ، هو
المطر الذى سكبه كارولين من زجاجة حقيبتها لتضع فيها كمية
من سم الكونين ، واذا دل هذا على شيء ، فانما يدل على ان كارولين
قررت فجأة ، وبعد سماعها من مفعول الكونين الذى يميمت بغير
الام ، ان تختلس كمية منه ، فأفرغت زجاجة المطر لهذا الغرض .
وقد قمت امس بتجربة بسيطة في هذا الشأن مع مستر ميرديث ،
فجعلته يغمض عينيه ليستعيد موكب الذكريات ، ثم لوحث امامه
بمنديل معطر بالياسمين ، فتتابع الذكريات في ذهنه ، وكلنا يعرف
اثر الروائح في بعث الذكريات من مرقدتها

وعندئذ قال فيليب في شيء من الضيق والضمجر .

— ما معنى كل هذه الادلة التى تسوقها لتثبت ان كارولين
اختلست من هذه الغرفة كمية من السم ... اما يكفي اعترافها ؟

فابتسم بوارو وقال :

— بعض المتهمين يدلون ، لاسباب خاصة ، باعترافات غير صحيحة !

— حسنا ، ولكن جميع الادلة ، مع اعتراف كارولين ، قد اثبتت انها هي ، لا احد آخر ، التي اختلست كمية السم . . . فلماذا كل هذا الاستطراد ؟

ومرة اخرى ابي بوارو ان يفضب ، ثم قال :

— اردت من هذا الاستطراد ان اثبت بالدليل القاطع ان كارولين هي فعلا وقولا التي اختلست السم

فقال فيليب في صوت ينم عن السخرية :

— وبالتالي لتثبت ، قولا وفعلا ، انها هي التي ارتكبت الجريمة ، واعتقد ان رجال البوليس كانوا اسبق منك في هذا الشأن

سهلا يا مستر فيليب بليك ، لسوف انتقل الى نقطة اخرى لا يستطيع احد ان يعارى فيها ، فقد اجتمعت اقوال الشهود على ان الزا جرير صارحت كارولين بعزمها على الزواج من امياس ، وان امياس اعترف لزوجته بهذه الحقيقة ، وان كارولين كانت في حالة نفسية سيئة بعد هذا الاعتراف . حسنا . . . كل هذا مفروغ منه . لننتقل الآن الى الاحداث التي وقعت في صباح يوم الماساة . في هذا الصباح وقعت مشادة او مشاجرة او شيء من هذا القبيل بين امياس وزوجته في غرفة المكتبة . . . وقد سمعها مستر فيليب بليك ، وهو يمر بالصالة ، وكذلك سمعها الزا جرير ، وهي جالسة تحت نافذة غرفة المكتبة ، تقول بصريح العبارة لزوجها : « هكذا انت مع نسائك . . . لسوف اقولك في يوم ما » . وقد ذكرت الزا جرير انها سمعت امياس وهو يطلب من زوجته ان تتعقل وتترن ولا تنهز في تصرفاتها ، فاجابت كارولين عليه بانها تفضل ان تراه ميتا على ان يتزوج من هذه « الفتاة » . ثم غادر امياس غرفة المكتبة وطلب من الزا جرير ان تمضي معه الى حديقة البحر : لكي تجلس معه في الوضع الخاص حتى يفرغ من رسم اللوحة ، فطلبت منه ان ينتظر قليلا ريثما تأتي بصديرتها الصوفية لتحتمي بها من برودة هواء البحر

وصمت بوارو برهة قبل ان يقول مستطردا :

— الى هنا ونحن نجد تصرفات كل شخصية في الماساة تبدو طبيعية متناسقة من جميع النواحي السيكولوجية . . . فقد كان كل واحد يتصرف كما هو منتظر منه . ولكننا سننتقل الآن الى مرحلة بدت

فيها بعض التصرفات غير منطقية ، وغير منتظرة ، ومع ذلك لم يحاول
أحد ، يومئذ ، أن يسأل عن السبب
وتحولت نبرات صوت بوارو فجأة من البساطة واللين ، إلى
الجد والحزم وهو يقول :

— اكتشف ميرديث بليك سرقة — أو ضياع — كمية من سسم
الكونين من معمله في الصباح ، فاتصل تليفونيا بأخيه فيليب الذي
كان ينزل ضيفا على أمياس وكارولين ، وطلب منه فيليب أن يسرع
بالحضور إلى قصر آلدربري ليتبادل معه الحديث في هذا الأمر ..
وذهب هو ، أي فيليب لاستقبال أخيه عند ضفة الخليج ، وفيما هما
عائدان إلى القصر في الممر ، سمعا كارولين تتناقش مع زوجها أمياس
بشأن الحاق انجيلا بالمدرسة . فما رأيكم في هذا التصرف ؟ هل هو
يتناسق ويتطابق من الناحية السيكولوجية ؟ هل هو تصرف منطقي
معقول ؟ ألم يخطر ببال أحد أن يتساءل كيف يتناقش زوجان في
موضوع بسيط يخص الحاق انجيلا بالمدرسة ، بعد هذه المشاجرة
العنيفة التي سمعت فيها الزوجة وهي تهدد زوجها بالموت ؟ أيمن
أن يحدث هذا ؟ أيمن أن تتشاجر زوجة مع زوجها إلى حد تهديده
بالموت ، ثم تذهب إليه بعد عشرين دقيقة لكي تتناقش معه في موضوع
الحاق اختها بالمدرسة ؟



وانتفت بوارو إلى ميرديث وقال له :

— لقد ذكرت في تقريرك أنك سمعت أمياس كريل يقول لزوجته :

« لقد انتهى كل شيء ، ولسوف ترحل » أليس كذلك ؟

فقال ميرديث فورا :

— نعم ... سمعت هذه العبارة بوضوح

وقال فيليب مؤكدا :

— نعم ... أذكر أنني سمعت شيئا من هذا القبيل ، ونحن نقرب
من باب حديقة البحر

فقال له بوارو :

— هل أنت متأكد تماما أنك سمعت هذه العبارة أو ما معناها

فقطب فيليب جيبينه وقال :

— نعم ... طبعاً ، سمعت شيئاً عن حزم الحقائق والرحيل

— وكان المتحدث امياس كريل ، وليست كارولين ؟

— بكل تأكيد ... وأذكر أن كارولين قالت له أنه شديد القسوة على الفتاة ، لماذا تلج في هذه الاستلة .. فقد كنا نعرف أن الموضوع يتعلق بترحيل انجيلا الى المدرسة

وقال ميرديث :

— نعم ، فان كارولين حين رأتنا ابتسمت ، وقالت أنها كانت تتحدث مع زوجها بخصوص الحاق انجيلا بالمدرسة ، واصراره على ترحيلها في اقرب فرصة ..

وقال فيليب :

— ولكن ، ما علاقة هذا كله بارتكاب الجريمة يا مسيو بوارو ؟

فابتسم بوارو وقال :

— ان لها اكبر علاقة ، انها الخيط الاول من الضوء الذي هداني الى الحقيقة .. وقد اتصل به مباشرة خيط آخر زاد الحقيقة ضوءاً ، وذلك أن كارولين ، المخدولة ، المهجورة ، الكسيرة الجناح التي تفكر في الانتحار ، أو تدبر مقتل زوجها ، والتي هددته علانية بالموت ، كارولين هذه ، تعد زوجها في هدوء ورضاء بأن تأتي اليه برجاجة بيرة مثلوجة بعد ان اعرب عن اشمزازه من البيرة الساخنة الموجودة في الحديقة فهل مثل هذا التصرف أيضاً يطابق قوانين علم النفس البديهية ؟

فقال فيليب بليك :

— نعم ... انه تصرف معقول ما دامت تدبر مقتل زوجها ، فقد كانت فرصتها السانحة لتدس له السم في الشراب

فقال بوارو :

— اعتقد هذا ، اذا كانت قررت فعلاً دس السم لزوجها ، واذا

كان زوجها يحتفظ ببضع زجاجات من البيرة في الحديقة ؛ فلماذا لم تضع هذا السم في زجاجة أو اثنتين من هذه الزجاجات التي ثبت أنها لم تكن تزيد عن ثلاث ؟ وكان هذا في مقدورها دون أن يراها أحد ؟
فهز فيليب راسه وقال :

— لا . . . لم يكن في مقدورها أن تفعل هذا خشية أن يشرب شخص آخر من الزجاجات المسممة
فابتسم بوارو وقال :

— شخص آخر ؟ مثل الزا جريو مثلا ؟ اتريد ان تقول لى أن المرأة التي قررت قتل زوجها ، سوف تخشى من قتل عشيقته خطأ ؟
وصمت بوارو برهة قبل أن يستطرد قائلا :

— ولكن . . . دعونا من هذه الاحتمالات ولنركز اهتمامنا بالحقائق ، لقد قالت كارولين انها سبعت الى زوجها بزجاجة بيرة مثلوحة ، ثم صعدت الى القصر ، وتناولت من الثلاث زجاجات بيرة ، وعادت بها اليه ، وصبت منها في الكأس التي كانت موضوعة بجانبه ، وشرب هو الكأس في جرعة واحدة ، وبدأ عليه التأفف وقال : « كل شيء في فمى اليوم مر . . . » ثم عادت كارولين الى القصر بعد ذلك ، وحل موعد طعام الغداء ، وجلبت هى مع الضيوف كالمعتاد لتناول الطعام ، وقد اجتمعت الآراء على انها كانت ثابتة لا يبدو عليها غير شيء يسير جدا من القلق ، ولكن هذا لا يهم ، فهناك قاتلات ثابتات الامصاب يقتلن القتل ويمشين فى جنازته ، وهناك قاتلات متوترات الامصاب ، تنم تصرفاتهن على اضطراب نفوسهن . ولهذا السبب فلن اهتم كثيرا بهذه النقطة . وبعد الغداء ، ذهبت كارولين لتتظر فيما اذا كان زوجها محتاجا الى شيء . وهناك وجدته ميتا . . . ونستطيع ان نقول انها اضطربت ، وانها ارسلت مس ويليامز لاستدعاء الطبيب ، وهناسنتقل الى حقيقة لم يسبق ان عرفها احد منكم غير مس ويليامز . . .

ثم التفت الى مس ويليامز ، فلما اومات له براسها ، قال :

— والتفت مس ويليامز،وهى فى طريقها الى التليفون ، بمستر

ميرديث ، فكلفتها بمهمة استدعاء الطبيب ، وعادت مسرعة الى كارولين لتبقى بجانبها . فماذا تظنون انها رأت ؟



وخيم الصمت الرهيب على غرفة العمل المهجور ، بينما استطرد بوارو يقول :

— رأت كارولين وهي تزيل بمنديلها آثار بصمات اصابعها من زجاجة البيرة ، وتطبع عليها بصمات اصابع زوجها وشحب وجه كارلا ، واتسعت عينا انجيلا وارين ، وغمغم ميرديث بكلمات غامضة ، وقال فيليب :

— ألم أقل ...

ولكن الزا جرير ، أو الليدى دينشام تعلمت في مقعدها ، ونظرت الى مس ويليامز في دهشة بالغة وقالت :

— أرايتها حقا ... تفعل هذا ؟

فقالت مس ويليامز في صوت ينم عن الاحتقار :

— اننى لم أعود الكذب في التفاهات ، فكيف اكذب في الخطير من الامور ؟

ووثب فيليب قائلا :

— ان هذا يضع حدا للأمر كله ، فلا داعى للمزيد من الحديث ، واعتقد يا مسيو بوارو أنك لم تفعل أكثر من أن أكدت ادانة كارولين بطريقة لا تدع للشك مجالا ...

فنظر بوارو اليه في هدوء وقال :

— من قال هذا ؟

وقالت انجيلا في صوت حاد :

— اننى لا اصدق هذا ... أبدا !

وراح ميرديث يشد شعيرات شاربه في اضطراب ، وظلت مس ويليامز هادئة في مكانها تقول بثبات :

— هذا ما رأيته بعيني ، واقسم على ذلك أمام الله
وقال يوارو بهدوء :

— ليس لدينا طبعاً أى دليل يثبت هذه الحقيقة غير كلمة مس
ويليامز

فنظرت مس ويليامز إليه بثبات وقالت :

— نعم . . . ولكنى لم اعتد أن توضع كلمتى موضع الشك
فاومة يوارو لها براسه وقال :

— وأنا يامس ويليامز لا أشك فيما تقولين ، لقد رايت فعلاً ما حدث ،
ولهذا السبب بالذات ، أى ما قامت به كارولين من ازالة بصمات
اصابعها عن زجاجة البيرة وطبع بصمات زوجها ، قررت عن يقين
وتاكيد بأنها لم ترتكب هذه الجريمة ، ولا يمكن بأى حال من الاحوال
أن تكون هى المذنبة

ولاول مرة ، قال الشاب الطويل جون راتيرى ، خطيب كارلا ، فى
صوت هادىء :

— يهمنى أن أعرف يا مسيو يوارو لماذا تقول هذا ؟
فالتفت يوارو اليه وقال باسماء :

— سوف أخبرك ، ماذا رأت مس ويليامز ؟ رأت كارولين تزيل
فى لهفة بمنديلها آثار كل ما على الزجاجة من بصمات ، آثار بصمات
اصابعها هى طبعاً ، وآثار اية بصمات أخرى أيضاً ، ثم تطبع عليها
بصمات اصابع زوجها الميت . . وارجو أن تستوعبوا هذه الحقيقة
الهامة جداً ، وهى أنها فعلت هذا بزجاجة البيرة ، اليس كذلك يامس
ويليامز ؟

فاومات مس ويليامز براسها قائلة :

— نعم . . . بزجاجة البيرة

فابتسم يوارو ابتسامة المنتصر وقال :

— هذا مع العلم بأن التحليل الطبى اثبت بصفة قاطعة ان سم
الكونين لم يكن موجوداً بزجاجة البيرة ، وانما وجدت آثاره فى الكاس
الموضوعة بجانبها ، التى كان امياس يشرب منها . . فما معنى هذا ؟
معناه الواضح ان كارولين لم تكن تعرف الحقيقة ، وانما ظنت فقط

أن الكونين كان موضوعا في زجاجة البيرة ، فهل يستطيع عاقل بعد هذا أن يصدق أنها قاتلة زوجها ، رغم أنها لم تكن تعرف أين دس السم في شرابه ؟

فقال فيليب بليك دهشا :

— ولكن ... لماذا حاولت أن ...

فقاطعه بوارو بحدة :

— نعم ... لماذا ؟ لماذا أزالتي بصمات أصابعها وأصابع غيرها من الزجاجاة ، وطبعت عليها بصمات أصابع زوجها ... نعم لماذا ؟ من حق كل إنسان أن يسأل، ومن واجبي أنا، أنا الباحث عن الحقيقة ، أن أجيب أجابة مقنعة ، لأسبيل الى الشك فيها ، وهذه الاجابة هي : أنها كانت تعرف من الذي قتل زوجها ، وأنها على استعداد أن تفعل أى شيء ، وأن تحتل أى شيء ، حتى تبعد التهمة عن ذلك الشخص وصممت بوارو برهة قبل أن يردف قائلا وهو يشيح بوجهه عن انجيلا وارين :

— ومن السهل علينا أن نعرف من هي الشخصية التي كانت كارولين على استعداد لاحتمال أى شيء من أجلها ، فهل يمكن أن تكون هذه الشخصية الغالية : فيليب بليك أو ميرديث ، أو مس ويليامز ، أو الزا جرير ؟ لا ... لا يمكن أن يكون أحد هؤلاء أغلى على كارولين من حياتها ... إذن فمن تكون ؟

وصممت بوارو برهة قبل أن يوجه الحديث الى انجيلا وارين قائلا :
— مس وارين ! اذا كنت قد أحضرت معك الخطاب الذي أرسلته اليك أختك بعد صدور الحكم ، فأرجو أن تسمح لي بقراءته هنا
فقالت انجيلا بحدة :

— لا ...

— ولكن ... يا مس وارين ان الامر

فوثبت انجيلا قائلة :

— اننى أفهم تماما ماذا تعنى ، انك تريد أن تقول اننى انا قاتلة امياس كريل ، اليس كذلك ، انا قاتلة امياس ، وقد حاولت أختي أن تحميني وتستر على . ولكننى انكر هذا الاتهام المزعوم بكل قوة
— الخطاب يا مس وارين

— ان هذا الخطاب من شئوني الخاصة ، لقد أرسل لي ، لا لاحد
غيري

ونظر بوارو الى كارلا وخطيبها الواقفين معا في شيء من الاضطراب ،
وعندئذ قالت كارلا في رجاء :

— ارجو منك يا خالتي انجيلا ، ارجو منك ، لماذا لاتسمحين بقراءة
الخطاب ؟

فقالت انجيلا :

— مجبا يا كارلا ؟ كيف تقبلين هذا ؟ انها امك ... ولا يجوز ...

فانساب صوت كارلا واضحا رنانا في الغرفة :

— نعم ، انها امي ، ولهذا السبب اطلب منك ان يقرأ خطابها هنا ،
فان هذا من حقي

فهزت انجيلا كتفها ، وفي بطء شديد اخرجت من حقيبة يدها
الخطاب وسلمته الى بوارو الذي قراه بصوت مسموع للجميع ،
واحست كارلا فجأة بان شخصا ما دخل الغرفة ، كان ظللا تجمعت ،
وتجسدت .. وان هذه الظلال المجددة تنصت معها في لهفة الى
كلمات الخطاب ، واهتفت كارلا لنفسها لاهثة الانفاس : « انها هنا
.. امي كارولين كريل معنا في هذه الغرفة ! »

وتوقف بوارو عن القراءة بعد ان فرغ من تلاوة الخطاب ، ثم
قال :

— انه خطاب مدهش ، اليس كذلك ؟ خطاب عجيب ، رائع ..
ولكن الذي يلفت النظر فيه هو انه خال تماما من أى ادعاء ببراءتها

فقالت انجيلا :

— لا داعي لان تؤكد لي براءتها ، لاني اعرف انها بريئة ، وهي
ايضا تعرف هذه الحقيقة البديهية ، فلماذا تؤكد لها لي ؟

— نعم يا مس وارين ، كانت كارولين تعرف تماما انها بريئة ،
وانك واثقة من براءتها ، بل انك اكثر الناس ثقة بهذه البراءة ، لقد
كان ههما فقط في هذا الخطاب هو ان تواسيك وتهديء من اعصابك ،
وتؤكد لك انها ليست آسفة او نادمة او حزينة ، وان عليك ان
تنسى كل شيء ، وتعيشي حياتك في سعادة ونجاح

— من البدهى أن ترجو اخت لاختها كل سعادة ونجاح في الحياة
— نعم ، ولكن لا تنسى أنها كانت لها طفلة في الخامسة من عمرها ،
ومع ذلك فقد كان كل تفكيرها متوجها اليك أنت دون طفلتها ، أنها
لم تفكر في طفلتها إلا أخيرا ، وهى على فراش الموت ولم تكتب لها
شيئا أكثر من أنها بريئة ، أما من ناحيتك أنت ، فقد كانت في أشد
حالات القلق ، كانت تريد أن تؤكد لك أنها ليست آسفة ، وأنها
ستحتمل العبء راضية « لان على الانسان أن يدفع ثمن ما جنت
يداه » كما ذكرت في نص خطابها ، أن هذه العبارة توضح كل شيء
أنها تبين مدى الآلام النفسية التى تحملتها منذ أن أصابت اختها في
ساعة غضب وغيرة أصابة سببت لها عاهة مستديمة ، ولكن هاهى
ذى الاقدار قد أتاحت لها الفرصة لدفع الثمن . ولكى تخفف عن
نفسها الآلام الرهيبة ووخز الضمير ، وأنا أستطيع أن أوكد ان
كارولين ، بعد أن دفعت هذا الثمن ، أحست بسكينة النفس ،
وهدوء البال ، وراحة الضمير ، بل أحست بلون من السعادة الروحية
لم يسبق لها مثيل في حياتها . لقد كانت تعتقد أنها دفعت ثمن
الذنب الذى ارتكبته في حق اختها . ولهذا احتلت اجراءات المحاكمة
في صبر واستسلام ورضاء . كان الناس يظنون أنه استسلام المجرم
لخصمه ، وأنا أقول ، كما سابين لكم ، أنه استسلام الانسان لراحة
الضمير



وصمت بوارو برهة قبل أن يستطرد قائلا :

— والآن سأذكر لكم تسلسل الاحداث وانطباقها على الحقائق ،
واتفاق بعضها مع بعض وتناسقها التام مع المبادئ البديهية لعلم
النفس . . فنبدا أولا بحادثة بسيطة وقعت في مساء اليوم السابق
على المأساة . . تلك هى حادثة المشاجرة الصيانية التى وقعت بين
انجيلا وامياس بشأن الالتحاق بالمدرسة . لقد ألت انجيلا على
امياس بشقالة ورق ، ودعت عليه دعوات سيئة ، ثم انطلقت باكبة
الى غرفتها ، لقد أعاد هذا المنظر ، منظر لقاء ثقالة الورق على امياس ،
الى ذهن كارولين ذكريات الحادث الذى أصابت فيه اختها بشقالة ورق ،
أصابة كادت أن تكون قاتلة ، وقد صاحت انجيلا في امياس ، أنها
تتمنى لو تراه ميتا ، وفي ضحى اليوم التالى ، ذهبت كارولين الى

ثلاثة القصر لتأخذ منها زجاجة مثلوقة لزوجها ، وهناك وجدت انجيلا واقفة وفي يدها زجاجة ، وعلى وجهها « امارات من ارتكبت ذنبا » ، وهذا هو التعبير الذي ذكرته مس ويليامز في تقريرها ، وكانت مس ويليامز تقصد من هذا التعبير شعور انجيلا بخطئها في الهرب منها طوال فترة الصباح ، ولكن كارولين تذكرت فيما بعد « امارات الشعور بالذنب » هذه ، وفهمت منها شيئا آخر . . . نعم ، لا تنسوا ان انجيلا اعتادت ان تداعب امياس وتضع في شرايه اشياء مرة المذاق . . وهكذا اخذت كارولين زجاجة البيرة المثلوقة ، ومضت بها الى زوجها في حديقة البحر ، وسكبت منها في الكأس الموضوعة على منضدة بجانبه ، وشرب هو الكأس في جرعة واحدة ، وتأفف من مذاقها قائلا ان كل شيء في فمه مر هذا اليوم ، ولكن كارولين لم تشك في شيء عندئذ . . ولكنها ، بعد ان اكتشفت موت زوجها عقب طعام الغداء ، شككت في الامر ، بل ايقنت انه مات مسمما ، ولكنها هي لم ترتكب الجريمة ، فمن اذن الذي ارتكبها ؟ وتذكرت كل شيء في لحظة . . تذكرت رغبة انجيلا في رؤية امياس ميتا ، تذكرت « امارات الشعور بالذنب » على وجهها وهي واقفة بجانب الثلاثة تعبت بالزجاجات ، ولكن ، لماذا فعلت الصبيبة هذا ؟ لاشك انها لم تكن تقصد ان تقتله ، لعلها ارادت فقط ان نفيظه ، ان تجعله يمرض . . او انها قتلتة فعلا من اجلها هي . . من اجل كارولين ؟ مهما يكن السبب ، فقد كادت هي ، وهي في مثل هذه المرحلة من العمر ، ان تقتل اختها ، فلماذا لا تفعل انجيلا هذا ايضا ؟ حسنا ، يجب اذن ان تحمي انجيلا باى ثمن ، لقد أمسكت الفتاة بالزجاجة التي دست فيها السم ، فيجب اذن ان تزيل عن الزجاجات كل آثار للبصمات . . انها لم تكن تزيل بصماتها هي ، وانما بصمات انجيلا ايضا ، وهو المهم . . . ثم ماذا ايضا ؟ يجب ان تجعل كل انسان يعتقد ان امياس مات منتحرا . وانها لم تفكر في تلك اللحظة ان الناس من الناحية النفسية ، لن يصدقوا التحلل امياس ، ان كل همها كان مركزا في انقاذ انجيلا باى ثمن ، وهكذا طبعت بصمات اصابع زوجها على الزجاجات ، وكانت تعمل هذا كله بسرعة واضطراب وحذر ،

وهي ترهف السمع هنا وهناك . وإذا نحن نظرنا الى الموضوع
من هذه الزاوية ، أدركنا ان كل شيء بعد ذلك يتفق معه . . . أدركنا
سر استسلام كارولين اثناء المحاكمة مع الاصرار على براءتها ، وسر
قلقها الشديد على انجيلا ، وسر رغبتها في ابعادها قورا عن مسرح
المأساة الى الريف ، ثم سر اصرارها على ابعادها خارج البلاد خوفا
من أن تنهار اعصاب الفتاة وتعترف بكل شيء



الفصل السادس عشر

الحقيقة العجيبة

واستدارت انجيلا وارين نحو الجميع ، ثم قالت بصوت حاد وعينين متالفتين بالغضب :
— انكم جميعا اغبياء حمقى ، الا تعرفون انى لو كنت المذنبة ، لا اعترفت بالحقيقة ولما تركت اختى الحبيبة تتحمل الوزر عنى !
تقال بوارو :

— ولكنك عيشت فعلا بمحتويات زجاجة البيرة التى حملتها كارولين الى اميلاس !

— انا ؟ ربما ... فانى لا اذكر تماما ، ولكن لا ... : لقد تذكرت الآن فقط ... عجبا ، لقد عيشت بمحتويات احدى الزجاجات حقا ، ولكنى لم اضع فيها شئما ، وانما هذه المادة التى سبق ان وضعتها فى شراب اميلاس اكثر من مرة ، انها مادة لا تضر ، واذكر انها تسمى « مصيدة القطط » لان رائحتها تجلبب القطط ، واذكر الآن جقا انى ذهبت فى الصباح الى منزل مستر ميرديث وتسلمت الى هذه الغرفة عن طريق النافذة واختلست كمية من هذه المادة

فقال ميرديث :

— آه ... عندما شعرت كان قطرة تدخل هذه الغرفة ... صباحا !

فقال بوارو :

— ان الذى جعلك تشعر بوجود قطرة بالذات ، هو تشمفك لرائحة هذه المادة ، ما اسمها ؟
— فاليريان ...

— نعم ، ان لك حاسة شم قوية ، وقد أوحى لك هذه الرائحة

١٥٠ إحدى القطط هي التي تسلت من فتحة النافذة ، وهي فتحة ولا شك كانت كافية لدخول طفلة منها ...
فقلت أنجيلا :

... نعم ... اذكر أني دخلت من فتحة النافذة بعد أن رفعت المصراع قليلا ، وعدت الى القصر من طريق آخر . وهذا يفسر « أمارات الشعور بالذنب » التي رأتها مس ويليامز وأختي كارولين على وجهي بعد أن أغلقت زجاجة البيرة
وتوقفت أنجيلا برهة ثم قالت :

... ولكنني تذكرت الآن شيئا آخر ، شيئا هاما جدا ، تذكرت انني لم أجد الفرصة الكافية لأضع المادة في الزجاجة في ذلك اليوم ، لانني ماكدت أحملها من الثلاجة لأعيب بها حتى أقبلت مس ويليامز وأختي كارولين ، نعم ، أقسم اني لم أعيب في ذلك اليوم بمحتويات أية زجاجة !

ثم أردفت بصوت هاديء وهي تنتقل بنظراتها من وجه الى آخر :
... انني لم أقتل أمياس كريل ، لا عمدا ، ولا نتيجة مداعبة ثقيلة ... ولو اني فعلت هذا لاعترفت بكل شيء
وقالت مس ويليامز :

... طبعا يا عزيزتي ، لن يتهمك بقتل أمياس الا كل أحقق غيبى ثم نظرت الى بوارو في تحد وغضب
وابتسم بوارو وقال :

... انني لست غيبيا ، ولا أحقق ، ولهذا لا اتهم أنجيلا بارتكاب هذه الجريمة ، لانني اعرف عن يقين من قتل أمياس كريل ...
ثم صمت برهة وأردف قائلا :

... من الخطر دائما أن تقبل بعض التصرفات على انها حقائق ثابتة غير قابلة للشك ، بينما هي في الواقع أبعد ما تكون عن الحقيقة ، ولناخذ ... مثلا ... الموقف في قصر آلديريرى ... انه موقف الصراع الخالد بين امرأتين من أجل رجل واحد ... ولقد تقبلنا ببساطة وبداهة هذه الحقيقة ، حقيقة عزم أمياس كريل على هجر زوجته والزواج من الزا جرير ، وتلك إحدى الحقائق الخادمة التي ليس فيها من الحقيقة الا اسمها . ولهذا أقول ان أمياس لم يكن عازما ، أبدا ، على هجر زوجته أو الانفصال عنها

وصمت بوارو برهة ، وراح يطوف بنظراته على وجوه الجميع ،
قبل أن يستطرد قائلا :

— كان أمياس يجرى وراء النساء ، ويظل مفتونا بالواحدة منهن
طالما كانت نزرة الحب العابرة تربط بينهما ، فاذا خمدت هذه
النزوة ، نسي كل شيء عن صاحبه هذه ، ليعتصم عن غيرها ،
وهكذا .. وكانت غرامياته تدور حول نوع معين من النساء المجربات ،
النساء اللاتي يعرفن حقيقة العاطفة المتقلبة التي تجيش في صدر
هذا الفنان . ولهذا لم تكن احداهن تنتظر منه الكثير .. كل واحدة
منهن كانت تعرف ان علاقته بها مجرد نزوة طارئة ، لن تلبث حتى
تزول ، ولكن الزا كانت تختلف ... لم تكن امرأة ... وانما كانت
اقرب الى طفلة ، كانت فتاة قليلة التجربة ، عديمة الخبرة او تكاد .
وكما شهد الجميع ، كانت مخلصه في حبها لامياس ، مفتونة به ،
متفانية فيه ، واثقة منه . انها قد تكون في نظر الجميع ، جريئة ،
مستهترة في بعض تصرفاتها ، صريحة أكثر مما ينبغي ، لايهمها أحد ،
ولا تهتم بغير رغباتها . قد تكون هذه كلها بعض صفاتها ، ولكن
المؤكد انها احبت امياس حبا عجيبا : حب الانثى لاول رجل ، حب
الفتاة لفتى الاحلام . وكانت تعتقد بل توقن ، لغرط استغراقها
في الحب ، انه يبادلها هذه العاطفة الجبارة بمثلها ، كانت تؤمن ايمانا
عميقا ان هذا الحب ، هو حب الحياة ، وحب العمر كله ... كانت
واثقة انه ، دون ان تطلب منه ، سيهجر زوجته من اجلها

ومرة أخرى صمت بوارو برهة ، قبل أن يستأنف حديثه قائلا :
— ولكن ، قد يتساءل أحدكم : لماذا تركها امياس تمشي في هذا
الوهم الكبير ؟ لماذا لم يحاول ان يصارحها بالحقيقة ؟ الاجابة على
هذا ، هي : الصورة ! ان هذه الاجابة قد تبدو للبعض غريبة شاذة ،
غير معقولة .. ولكنها لن تكون كذلك لمن يعرف نفسية الفنانين ، ان
الفنان الاصيل الموهوب يقدم فنه على كل شيء ، وهكذا كان الحال
مع امياس . كانت اللوحة في نظره هي كل شيء . ونحن نستطيع ان
نفهم الآن معنى حديث امياس كريل مع مستر ميرديث بليك عندما
ربت كتفه وقال له ضاحكا : « اطمئن يا صديقي ان كل شيء سينتهي
على خير .. » . ارايتم ؟ كان كل شيء في نظر امياس بسيطا ، سهلا
ينتهي بالخير .. انه مشغول برسم لوحة يعتبرها من اعظم اللوحات

التي رسمها في حياته ، وأنه لن يدع غيرة امرأتين تعوقه عن اتمام
هذه اللوحة ، اللوحة التي يعتبرها اعظم شيء في حياته
وارتسمت ابتسامة خفيفة على شفתי بوارو ، وهو يستطرد
قائلا :

— لو أن أمياس صارح الزا بحقيقة مشاعره نحوها ، امنى لو
انه عاملها كما كان يعامل غيرها من النساء ، يعيش مع الواحدة
منهن اسبوعا او بضعة اسابيع ثم يهجرها ، اذن لثارت عليه ، وابت
ان تجعله يتم الصورة .. اللوحة .. العمل الفني الذي كان يراه
اهم شيء في حياته يومذاك . ومن المحتمل جدا انه ، في غمرة حماس
حبه لها في اول الامر ، قد حدثها عن الزواج ، ومن هجره لزوجته .
وليس هو اول عاشق يخدع حبيبته ، الفتاة ، بالحديث عن الزواج
او لعله ترك الزا تعتقد في قرارة نفسها انه يحبها هذا الحب الذي
يجعله في النهاية يضحي بزوجته وابنته من اجلها . فماذا يهمه ؟
لنعتقد مايشاء لها الحب ان تعتقد ، ولنظن مايريد لها الهوى من
الظنون ، انه لن يحفل بما تعتقد ، وبما تظن .. وانما هو يحفل بشيء
واحد فقط ، الا وهو اتمام اللوحة بأي ثمن . وكان يمزى نفسه
في غمرة هذه المحنة ، بأن الامر كله لن يحتاج الى اكثر من يومين
او ثلاثة ، ثم ينتهي كل شيء ، على خير ، كما قال لميرديث .. نعم ،
ينتهي كل شيء ، في رايه ، على خير ، حين يصارح الزا بحقيقتة
مشاعره . حين يقول لها ان كل شيء بينهما قد انتهى . حين يؤكد
لها بانه لا يستطيع ان يهجر زوجته وابنته . وكلنا نعرف انه ، رحمه
الله ، كان رجلا مستهترا بعواطف النساء ، ولكن ينبغي الا ننسى انه
حذر الزا ، في اول علاقته بها من نفسه ، لقد صارحها بحقيقتة وذكر
لها أي رجل هو ، ولكنها ابت ان تأخذ هذا التحذير مأخذ الجد ،
واندفعت الى قدرها المقدور بكل عواطفها . اندفعت تلقى بنفسها
بين ذراعي رجل يرى المرأة لعبة بين يديه . واذا انت سألته عن
هذا ، لقال لك ضاحكا ان الزا شابة صغيرة ، وانها لن تلبث ان تفيق
من صدمة هذا الحب ، لكي تبحث عن حب آخر ، وهكذا . ذلك
هو أمياس ، وتلك هي آراؤه عن الحب وعن النساء
وصمت بوارو فترة وجيزة ، قبل ان يردف قائلا :

— ولكن زوجته ، كارولين ، كانت المرأة الوحيدة التي يحبها من صميم قلبه ، ولا يطيق الانفصال عنها الى الابد ، وكان حبسه لها يزداد ، وتقديره لشخصيتها يتضاعف كلما تسامحت معه ، وصبرت على تصرفاته ، وقدرت الدوافع التي تجعله يجرى بين الاثنين . الآخر وراء هذه المرأة أو تلك ، ثم يعود اليها نادما مستغفرا ، وكان أثناء رسم اللوحة مطمئنا من ناحيتها ، كان يعرف انها ، لاجله ، ستصبر على هذا الوضع الشاذ يومين أو ثلاثة حتى يفرغ من رسم اللوحة ، وهذا هو سر ثورته وغضبه على الزا حين أخرجت مركزه بحدِيثها عن الزواج أمام زوجته . لقد وجد نفسه فجأة في أصيل اليوم السابق على المأساة في موقف لا يحسد عليه ، وجد نفسه بين الزا وزوجته . فهو اذا أغضب الزا وطردها من القصر ، فانه لا يستطيع أن يتم اللوحة ، ومن ثم تضيق كل جهوده فيها سدى . . . إذن ماذا يفعل ؟ لم يكن أمامه الا انه يعتمد على تسامح زوجته . والا انه يؤاها مرة أخرى ، ثم يبين لها حقيقة الموقف بعد يوم أو يومين ، هكذا كان أمياس يفكر . وهكذا كان يحل مشاكله بمثل هذه السهولة والبساطة

ولكنه ، في مساء اليوم نفسه ، شعر بالقلق على كارولين ، لا على الزا ، ولعله ذهب الى غرفتها في المساء ليوضح لها الامر ، فأبته أن تحدثه وأيا كان الامر ، فانه بعد ليلة من القلق والهم ، انفرّد بها في غرفة المكتبة عقب طعام الافطار ، وصارحها بالحقيقة صارحها بأنه لم يعد يحب الزا ، وأن شعوره نحوها لا يزيد عن شعوره نحو النساء الأخريات ، مجرد نزوة عابرة ، وأنه لن يتردد في ترحيلها عن القصر بعد أن يفرغ من رسم اللوحة ، أي بعد يوم أو اثنين على الأكثر . ولا شك أن كارولين أجابت عليه عندئذ هاتفة في نفور وغضب : « هكذا أنت دائما مع نسائك ، لسوف أقتلك يوما » إن هذه العبارة قد وضعت الزا في مستوى « نسائه » السابقات . ومع ذلك كانت كارولين غاضبة منه ، مشتمزة من تصرفاته ، تعتقد أنه اشتد في قسوته على الفتاة الخافلة ، ولما رآها فيليب بعد ذلك في الصلاة ، أعنى كارولين ، وسمعا تقول لنفسها في ذهول : يا للقسوة ، فانما كانت تعبر عن قسوة أمياس على الزا ، لاعليهاهي اما عن كريل ، فقد غادر غرفة المكتبة ، ورأى الزا في الشرفة مع

فيليب بليك ، فطلب منها - بخشونة - أن تمضى معه الى حديقة البحر لتجلس فى الوضع المطلوب ، حتى يفرغ من اتمام اللوحة ، ولكن الشيء الذى لم يكن يعرفه هو ان الزا كانت جالسة تحت نافذة المكتبة من الخارج ، وأنها سمعت وعرفت كل شيء . وان ما كتبتة فى تقريرها وما تحدثت به فى شهادتها أثناء المحاكمة لم يكن الحقيقة كلها



ومرة أخرى صمت بوارو برهة ، قبل أن يستأنف تحليله للموقف قائلا :

- ويمكنكم أن تصوروا الصدمة التى أصابتها حين تبينت الحقيقة .. حقيقة شعور أمياس نحوها .. وكانت فى اليوم السابق على المأساة ، أعنى عند زيارتها مع الجميع لبیت ميرديث بليك ، قد وقفت تتحدث معه خارج باب هذه الغرفة ، بعد أن فرغ هو من محاضرتة عن هوايته . وقد ذكر ميرديث أنه كان واقفا يحدثها وظهره الى باب الغرفة ، ومن ثم أمكنها أن ترى كارولين وهى تختلس سم الكونين من الزجاجية ، وقد اعترفت هى بذلك ، اعترفت أنها رأت كارولين وهى تأخذ كمية من السم من زجاجة الكونين .. ولكنها لم تقل شيئا لاحد فى تلك الليلة ، ولعلها لم تكن تعرف ماذا أخذت كارولين ، أو لعلها عرفت ، ولكنها ظنت أن كارولين أخذت هذا السم لتنتحر به ، وأيا كان الامر ، فقد فكرت فى هذا السم وهى جالسة تنصت الى الحقيقة تحت نافذة المكتبة . فلما طلب منها أمياس ، بعد ذلك ، أن تذهب معه الى حديقة البحر ، استأذنت منه قائلة انها ستصعد لتأتى بصديريتها الصوفية لتحتمى بها من برد هواء البحر . وقد صعدت لا لتأتى بالصديرية فحسب ، وانما لتظفر بكمية الكونين من غرفة كارولين ، والنساء عادة يعرفن بالفريزة المكان الذى تخفى فيه غيرهن من النساء بعض الاشياء ، وهكذا لم تجد الزا صعوبة فى العثور على زجاجة الكونين فى درج خزانة ملابس كارولين، وحتى لا تترك بصمات أصابعها على الزجاجية ، أخذت الكمية بطريقة « الشغل » فى خزان قلم حبر ، ثم هبطت مسرعة الى أمياس ، وذهبت معه الى حديقة البحر ، وانتهزت أول فرصة ، ووضعت السم

فى كأس البيرة - الساخنة - دون أن يراها ، وشرب هو الكأس
كمادته فى جرعة واحدة

وفى نفس الوقت كانت كارولين مضطربة بسبب قسوة زوجها
على الزا ، فلما رأتها تعود الى القصر لتحضر معطفها الصوفى الاحمر ،
أسرعت الى زوجها فى حديقة البحر ، وراحت تمنفسه على قسوته ،
وتطلب منه أن يترفق بالفتاة المسكينة ، وأن يقطع صلته بها تمريجيا
حتى لا يصدماها وهى فى أيل عهدا بالحياة ، ولكنه أجاب عليها بعنف ،
بان « كل شىء قد انتهى » . وانها لابد أن ترحل فى أسرع وقت ،
وفى تلك اللحظة سمعا وقع اقصادم تقترب ، اقصادم فيليب
وميرديث بليك ، فاضطربت كارولين ، وخرجت اليهما تحاول
الابتسام قائلة انها كانت تتناقش مع زوجها فى موضوع الحاق انجيلا
بالمدرسة . وبطبيعة الحال ظن الاخوان ، ولهما العذر ، أن المناقشة
أو المشاجرة ، كانت خاصة بموضوع انجيلا ، وأن قول أمياس عن
انتهاء كل شىء ، والرحيل فى أسرع وقت ، كان يقصد به انجيلا
لا الزا طبعا . وعندئذ أقبلت الزا وفى يدها المعطف الصوفى الاحمر ،
هادئة ، باسمة ، واستأنفت جلستها فى الوضع المناسب



وصمت بوارو برهة ليلتقط أنفاسه ، قبل أن يعود الى الحديث
قائلا :

- كانت الزا تعتمد ، ولا شك ، على أن تهمة قتل أمياس سوف
تقع فى النهاية على كامل كارولين ، وذلك عندما يعثر المسئولون
على زجاجة الكونين فى غرفتها وعليها بصمات أصابعها . والعجيب
أن كارولين ضاعفت من الخطر المحقق بها حين أحضرت بنفسها زجاجة
البيرة المثلوجة ، وصبت منها فى كأس زوجها . وجرح هو الكأس
دفعة واحدة كمادته ثم تأفف وقال : « كل شىء فى قمتى اليوم مر... »
فما معنى هذا الامتناء الواضح أن شيئا آخر كان مرافق فمه قبل هذه الكأس ،
وماذا يكون هذا الشىء غير الكأس الاولى التى قدمتها الزا له مسممة
بالكوتين ، وقد جعل هذا السم - البطي - المقبول كما قال ميرديث -
لسان أمياس مرا ، وأخذ كل شىء يتسم بالمرارة ، وقد ذكر بليك فى
تقريره أن أمياس كان يترنج قليلا وهو يعود للعمل بعد عودة الزا
بالمعطف الاحمر ، وظن أنه أسرف فى الشرب ، والتمس له العذر



ثم أشار بوارو الى اللوحة المعلقة في غرفة الرسم واردف قائلا : « انظروا الى هاتين العينين » وتأملوهما باعنان ... لقد رسم عيني قاتلة ! » ...

بسبب المشكلات النسائية التي يعانيها ، أما الحقيقة ، وأما السبب الحقيقي في هذا الترنح ، فهو أن مفعول الكونين كان قد بدأ يسرى في جسده ...

وهكذا جلست الزا في الوضع الخاص على سور الحديقة ، ولكي تجعله لا يشك في الأمر إلا بعد فوات الفرصة ، راحت تترنم معه في مرح مصطنع عن المستقبل ، وعن شهر العسل في أسبانيا ، وعن حفلات مصارعة الثيران التي تنوى أن تشاهدها معه ، وقد سمع ميرديث طرفا من هذا الحديث وهو جالس في الهضبة المشرقة على الحديقة .. وقد لوحظت الزا إليه بذراعيها ، وبذلت كل جهدها لتبدو طبيعية في تصرفاتها

أما أمياس كريل ، الذي كان يكره الاعتراف بالمرض ، فقد ظل يواصل الرسم بعناد يرغم شعوره العنيف بتصلب عضلاته ، وكان ، كما قال ، يظن الأمر بواذر رومانزوم عضلي .. فلما دق جرس الغداء استلقى على المقعد الخشبي المستطيل متهاككا ، وكان المسكين عندئذ قد شل تماما بحيث أصبح عاجزا عن طلب النجاسة .. وأعتقد أن الزا في تلك اللحظات ، أسرعت وأفرغت بقية قطرات السم من خزانة قلم الحبر في كأس البيرة ، وذلك قبل أن يهبط ميرديث من الهضبة ويصل إلى باب الحديقة لكي يصحبها معه إلى القصر للغداء .. وقد تخلصت من خزان قلم الحبر أثناء سيرها في المر حيث دامت عليه بقدما .. أما أمياس ، فنحن لا ندري ماذا كان شعوره في اللحظات الأخيرة : هل عرف الحقيقة ؟ هل داخله الشك ؟ المهم أنه أثبت أصالة فنه ، وروعة عبقريته في اللسعات الأخيرة التي رسم بها العينين في اللوحة

ثم أشار بوارو إلى اللوحة المعلقة في غرفة العمل ، وأردف قائلا :
- انظروا إلى هاتين العينين ، وتأملوهما باسنان .. لسوف ترون أن أمياس رسمهما بصدق غريزي ، رسمهما وهو لا يشعر . رسم عيني قاتلة ، عيني قاتلة كانت ترقب ضحيتها وهو ... يموت !

النهاية

فى ذلك السكون الرهيب المخيم على الغرفة ، تلاشى آخر شعاع من الشمس الغاربة عن النافذة ، وذلك بعد أن استقر برهة على الوجه الشاحب .. وجه الزا جرير ، التى أصبحت اللبدي ديتشام وتململت هى فى مكانها قليلا ، ثم قالت لبوارو :

— دعهم يخرجوا جميعا ...

وظلت فى مكانها ساكنة حتى خرج الجميع ، فيما عدا بوارو الذى تبادل نظرات خاصة مع الاخوين ، فيليب وميرديث بليك وأخيرا قالت :

— انك بارع ... بارع جدا يامسيو بوارو ، اليس كذلك ؟

ولم يجب بوارو ... وعادت هى تقول :

— وماذا تنوى أن تفعل بعد ذلك ؟

— اخبرينى أنت أولا ، ماذا تنوين أن تفعل ؟

فهزت كتفها وقالت :

— اننى لا أدري ، ان حياتى فى الواقع انتهت فى تلك اللحظة التى سمعت فيها الحقيقة من أمياس وهو يتحدث مع كارولين فى غرفة المكتبة . فى تلك اللحظة ، أحسست كأن شيئا فى أعماق نفسى قد مات وانتهى ، لقد تحولت كل عواطفى الانسانية أو الحيوانية ، اذا شئت ، الى عاطفة واحدة ... هى الحقد والرغبة فى الانتقام ، وكنت قد رأيت كارولين وهى تأخذ كمية من سم الكونين من حله الغرفة ، وخطر لى فى أول الامر أنها قررت الانتحار ... ومن ثم لم أشأ أن أقول شيئا ، ولماذا أقول ؟ اليس من الأفضل لى ، ولأمياس ان تنتحر وتفسح لنا الطريق .. هكذا حدثت نفسى ، ولكنى حين سمعته يقول لها فى صباح اليوم التالى ، انه لم يعد يهتم بأمرى فى قليل أو كثير ، وأنه سيطردنى من القصر بعد أن يفرغ من الصورة ،

تذكرت فعلا هذا السم .. تذكرته وأنا التهب بالحقد عليه .. وعليها
هي التي رثت لحالي ، وحزنت من أجلى ، واتهمت زوجها بالقسوة
على .. ان أسعد لحظة في حياتي ، هي اللحظة التي كنت أراه فيها
وهو يموت تدريجيا . لقد وضعت السم في كأسه الأولى ، تماما كما ذكرت
أنت ، ووضعت بقاياها في الكأس التي بقيت فيها قطرات من البيرة المثلوجة
التي حملتها اليه كارولين ، وكنت أتمنى أن أراها معلقة في حبس
المشقة ، ولكن الشيء الذي لم أنبئ به فيما بعد ، هو أنني قتلت نفسي
أيضا بهذه الجريمة التي ارتكبتها ! يقال ان بعض القتلة يعيشون
هادئين ، مطمئنين ، ما دام سرهم خافيا عن الجميع ، ولكني لم أكن
من هؤلاء ، لقد كنت أعيش وصورة أمياس في لحظاته الأخيرة لا تفارق
ذهني ، كنت أعيش وأنا ميتة حية اذا صح هذا التعبير .. ولست
أرجو منك الآن ، الا أن تتركني حتى الصباح ، وعندئذ ستعرف أنت ،
والجميع ، كل شيء

ونهضت كالشبح ، وسارت خارج الغرفة ، ومرت في طريقها
بشباب وفتاة ، بجون رايري ، وكارلا بالثنين بدأ يشعران بجمال
الحياة

وفي الصباح ، فوجيء قراء الصحف ، في طول البلاد وعرضها
بنبا انتحار الليدي الزا ديتشام ، وباعتراف شامل ، يحمل توقيعها ،
عن الجريمة التي ارتكبتها وقد ختمت اعترافها بقولها :

« لقد غفلت عنى عدالة الارض ، ولكن بعد ستة عشر عاما ، أمسكت
بتلابيبي عدالة السماء .. حقا ان عين الله الساهرة ، لا تغفل ، ولا
تنام »

المصنوع من الحكمة للحكيم

اسكندر ديماس

مارغريت ميتشل

جون شتاينبك

سومرست موم

كارسيل موريت

جورج سيمنون

بيرل باك

سيد والتر سكوت

شارل ديكنز

فيكتور هيوغو

يوهان جوت

ارنست همنغواي

اجاتا كريستيا

جيمس هيلتون

الفريمان التلثة "برلين"

الكونت دي مونت كريستو

ذهب مع الريح "برلين"

رجال ونساء .. وحب

ليلة غرام

كنت هاسويك

غادة التامليا

جريمة في الريفييرا

الأرض الطبية

عذارى المعبد

ايفان هو "أوليفانيس الأسود"

رافيد كورب فيلدر

أندريه نوتر دام

الام قمر

العجوز والبحر

سوف تشرق الشمس

الكأس الأخيرة

عذالة السماء

القاتل الخفي

الرجل الفاضل

غادة طيبة

عذراء وثلاثة رجال

To: www.al-mostafa.com